من عجائب الملائكة

بكر محمد إبراهيم

الناشر

مركز الراية للنشر والاعلام

اسم الكتاب : من عجائب الملائكة

بقلـــم : بكر محمد إبراهيم

الطبعة : الأولى ٢٠٠٥

الناشر : مركز الراية للنشر والإعلام

فكرة الكتاب : للناشر أحمد فكرى .

الاشراف والمتابعة : كريم أحمد فكرى .

رقم الإيداع : 4685/2005

الترقيم الدولى : 977.354.066.9

المقدمة

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبى بعده سيدنا محمد وعلى آله وصحبه.

وبعـــد . . .

هذه رسالة تميط اللثام من بعض المخلوقات العجيبة فهى تتحدث عن ذى القرنين وما ورد فى شأنه من غريب الأخبار وعجيب الأحوال .

أما الملائكة فهم من أشرف المخلوقات كلهم مؤمنون بالله طائعون ، عند الله ذوى مكانة، وهم يختلفون عن الإنس والجان فلا يأكلون ولا يشربون ولا يتناسلون ولا ينامون عليهم السلام .

والجن والتحصينات التى تقى شرهم وهم جنس مكلف ولكنهم يختلفون عن البشر اختلافا كبيرا فى خلقهم وأحوالهم وعلاقتهم ببنى الإنسان وتدبير المكائد لهم والوسوسة فى صدورهم .

والكتاب يحوى الكثير من العجائب عن الملائكة الكرام وأسماءهم وأعمالهم وهيئاتهم وقدراتهم وطاعتهم لله تعالى وصلتهم بالبشر فهم موكلون بالحساب فى القبر وخزان للجنة وخزان للنار ويسجلون أعمال العباد ومنهم الموكل بالأمطار والموكل بالموت وغير ذلك من المهام الجسيمة والخطيرة المتعلقة بالإنس والجان.

نفع الله به والحمد لله أولاً وآخراً .

المؤلف : بكر محمد إبراهيم

أسماء الملائكة

جبريل وميكائيل ، ويقال جبرائيل وجبرئيل - ويقال ميكاييل وميكيل وميكال.

أخرج ابن جرير من طريقه عن عكرمة عن ابن عباس قال : جبريل عبد الله وميكاييل عُبيد الله ، وكل اسم فيه «إيل» فهو معبد لله.

وأخرج عن عبد الله بن الحارث قال : «إيل الله بالعبرانية».

وأخرج ابن أبى حاتم عن ابن عبد العزيز بن عمير ، قال : اسم جبريل فى الملائكة خادم الله .

هاروت وماروت ، أخرج ابن أبى حاتم ، عن على ، قال : هاروت وماروت ملكان من ملائكة السماء.

والرعد : ملك موكل بالسحاب.

أخرج الترمذى ، من حديث ابن عباس أن اليهود قالوا للنبى ﷺ : أخبرنا عن الرعد ، فقال : ملك من الملائكة موكل بالسحاب .

وأخرج ابن أبى حاتم عن عكرمة قال : الرعد ملك يسبح الله .

وأخرج مجاهد : إنه سئل عن الرعد فقال : هو ملك يسمى الرعد ، ألم تر أن الله يقول : «ويسبح الرعد بحمده» [سورة الرعد] .

والبرق : أخرج ابن أبى حاتم ، عن محمد بن مسلم ، قال : بلغنا أن البرق ملك له أربعة وجوه : وجه إنسان ، ووجه ثور ، ووجه نسر ، ووجه أسد ، فإذا مصع (حرك الذنب) بذنبه فذاك البرق.

ومالك : خازن النار .

والسجل موكل بالصحف أخرج ابن أبى حاتم عن أبى جعفر البار ، قال : السجل ملك وكان هاروت وماروت من أعوانه .

وقعيد : ملك السيئات : كما ذكره مجاهد ، وأخرجه أبو نعيم فى الحلية وأخرج ابن أبى حاتم من طرق مرفوعة ومقطوعة وأن ذا القرنين ملك من الملائكة .

الروح : ملك من أعظم الملائكة .أخرج ابن أبى حاتم من طريق على بن أبى طلحة عن ابن عباس فى قوله تعالى : «يوم يقوم الروح» .

السكينة : ملك يسكن قلب المؤمن ويؤمنه ، قال الراغب فى مفرداته وروى أن السكينة تنطق على لسان عمر.

بعض أصناف الملائكة

منكر ونكير

هما فتانا القبر موكلان بسؤال الميت فى قبره عن ربه ودينه ونبيه ويمتحنان البر والفاجر وهما أزرقان لهما أنياب وأشكال مزعجة وأصوات مفزعة أجارنا الله من عذاب القبر وثبتنا بالقول الثابت آمين .

ملك الجبال

قال البخارى : حدثنا عبد الله يوسف حدثن ابن وهب حدثنى يونس عن ابن شهاب حدثنى عروة أن عائشة زوج النبى ﷺ حدثته أنها قالت للنبى ﷺ: هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد . قال لقد لقيت من قومك وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة إذ عرضت نفسى على ابن عبد ياليل بن عبد كلال فلم يجبنى إلى ما أردت فانطلقت وأنا مهموم على وجهى فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب فرفعت رأسى فإذا أنا بسحابة قد أظلتنى فنظرت فإذا فيها جبريل فنادانى إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا به عليك ، وقد بعث لك ملك الجبال لتأمره بما شئ فيهم فنادانى ملك الجبال فسلم على ثم قال : يا محمد فقال ذلك فما شئت إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين (الجبلان جبل مكة وجبل أبى قبيس) فقال النبى : بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئاً . ورواه مسلم من حديث ابن وهب به .

حملة العرش والكروبيون

ثم الملائكة عليهم السلام بالنسبة إلى ما هيأهم الله لهم أقسام فمنهم حملة العرش ومنهم الكروبيون الذين هم حول العرش ، وهم أشرف الملائكة مع حملة العرش ، وهم الملائكة المقربون .

كما قال تعالى : ﴿ لَن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا (١٧٢) ﴾ [النساء] .

ومنهم جبريل وميكائيل عليهما السلام ، وقد ذكر الله عنهم أنهم يستغفرون للمؤمنين بظهر الغيب .

كما قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ (٧) رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٨) وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَن تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٩) ﴾ [غافر]

ولما كانت سجاياهم (طباعهم) هذه السجية الطاهرة كانوا يحبون من اتصف بهذه الصفة فثبت فى الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال : إذ دعا العبد لأخيه بظهر الغيب قال الملك آمين ولك بمثل .

سكان السموات السبع

ومنهم سكان السموات السبع يعمرونها عبادة دائبة ليلاً ونهاراً وصباحاً ومساء .

كما قال تعالى : ﴿ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لا يَفْتُرُونَ (٢٠) ﴾[الأنبياء]

فمنهم الراكع دائما والقائم والساجد دائما ومنهم الذين يتعاقبون زمرة بعد زمرة إلى البيت المعمور كل يوم سبعون ألفا لا يعودون إليه آخر ما عليهم ، ومنهم الموكلون بالجنان واعداد الكرامة لأهلها وتهيئة الضيافة لساكنيها من ملابس ومصاغ ومساكن ومآكل ومشارب وغير ذلك مم لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر .

خزنة الجنة وخزنة النار

وخازن الجنة ملك يقال له رضوان جاء مصرحا به بعض الأحاديث ، ومنهم الموكلون بالنار وهم الزبانية ، ومقدموهم تسعة عشر وخازنها مالك وهو مقدم على جميع الخزنة ، وهم المذكورون فى قوله تعالى :

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ (٤٩) ﴾ [غافر] .

وقال تعالى : ﴿ وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ (٧٧) لَقَدْ جِئْنَاكُم بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ (٧٨) ﴾[الزخرف].

وقال تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدَادٌ لاَّ يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ ﴾ [التحريم]

وقال تعالى : ﴿ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾ وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلاَّ مَلائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلاَّ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا وَلا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلاً كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلاَّ هُوَ وَمَا هِيَ إِلاَّ ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ﴿٣١﴾ ﴾ [المدثر] .

الموكلون بحفظ بنى آدم

والموكلون بحفظ الأعمال

ومنهم الموكلون بحفظ أعمال العباد كما قال تعالى :

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ ﴾ [ق]

وقال تعالى : ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾ ﴾[الانفطار]

قال الحافظ أبو محمد عبد الرحمن بن أبى حاتم الرازى فى تفسيره

حدثنا أبى حدثنا على بن محمد الطنافس حدثنا وكيع حدثنا سفيان مسعد عن علقمة بن يزيد عن مجاهد قال قال رسول الله ﷺ : أكرموا الكرام الكاتبين الذين لا يفارقوكم إلا عند إحدى حالتين الجنابة والغائط فإذا اغتسل أحدكم فليستتر بحزم (أصل حائط أو بعيره أو يستره أخوه ، هذا مرسل من هذا الوجه وقد وصله البزار فى مسنده من طريق جعفر بن سليمان.

روى الإمام أحمد حدثنا أسود بن عامر، حدثنا شعبان حدثنا منصور عن سالم بن أبى الجعد عن أبيه عن عبد الله ابن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : ما معكم من أحد إلا وكل به قرينه من الجن وقرينه من الملائكة، قالوا إياك يا رسول الله ؟ قال : وإياى ولكن الله أعاننى عليه فلا يأمرنى إلا بخيرا ، انفرد بإخراجه مسلم من حديث منصور به . (أى بهذا الاسناد)

وقال البخارى : حدثنا أحمد بن يونس حدثنا إبراهيم بن سعد حدثنا ابن شهاب عن أبى سلمة بن عبد الرحمن والأغر عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : إذا كان يوم الجمعة كان على باب من أبواب المسجد ملائكة يكتبون الأول فالأول فإذا جلس الإمام طووا الصحف وجاؤوا يسمعون الذكر (الخطبة)،

قال تعالى : ﴿ أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾ ﴾ [الإسراء]

وثبت فى الصحيحين إن رسول الله ﷺ قال : إذا أمن الإمام فأمنوا فمن وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه .

وفى مسند الإمام أحمد والسنن عن أبى الدرداء مرفوعا وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع أى تتواضع له .

وقال الإمام أحمد : " إن لله ملائكة سياحين فى الأرض ليبلغونى عن أمتى السلام، وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق حدثنا يعمر عن الزهرى عن عروة عن عائشة قالت : قال رسول الله ﷺ خلقت الملائكة من نور وخلق الجان من مارج من نار وخلق آدم مما وصف لكم .

وهكذا رواه مسلم .

وقد أختلف الناس فى تفضيل الملائكة على البشر على أقوال . فأكثر ما توجد هذه المسئلة فى كتب المتكلمين والخلاف فيها مع المعتزلة ومن وافقهم وأقدم كلام فى هذه المسئلة ما ذكره الحافظ ابن عساكر فى تاريخه فى ترجمة أمية بن عمرو بن سعيد بن العاص أنه حضر مجلسا لعمر بن عبد العزيز وعنده جماعة ، فقال عمر ما أحد أكرم على الله من كريم بنى آدم ،

وأستدل بقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ ﴾[البينة]

ووافقه على ذلك أمية بن عمرو بن سعيد فقال عراك بن مالك ما أحد أكرم على الله من ملائكته هم خدمة داريه ورسله إلى أنبيائه ،

وأستدل بقوله تعالى : ﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَاتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾[الأعراف]

فقال عمر بن عبد العزيز لمحمد ابن كعب القرظى ما تقول أنت أبا حمزة، فقال قد أكرم الله آدم فخلقه بيده ونفخ فيه من روحه وأسجد له الملائكة وجعل من ذريته الأنبياء والرسل ومن يزوره الملائكة، فوافق عمر فى الحكم واستدل بغير دليله وأضعف دلالة ما صرح به من الآية قوله :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ۝٧ ﴾[البينة]

مضمونها أنها ليست بخاصة لبشر فإن الله وصف الملائكة بالإيمان فى قوله : ويؤمنون به، وكذلك وصف الجان .

قال تعالى : ﴿ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَىٰ آمَنَّا بِهِ فَمَن يُؤْمِن بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ۝١٣ وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَٰئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا ۝١٤ ﴾ [الجن]

وأحسن ما يستدل به ما رواه عثمان بن سعيد الدارمى عن عبد الله بن عمرو مرفوعا وهو أصح قال لما خلق الله الجنة قالت الملائكة يا ربنا اجعل هذه نأكل منها ونشرب فإنك خلقت الدنيا لبنى آدم فقال الله لن اجعل صالح ذرية من خلقت بيدى كمن قلت له كن فكان .

وهناك صلة بين الملائكة

والجن والإنس فمن هم الجن

الجن خلقوا من نار السموم أى نار تخترق المسام وأبوهم إبليس[١] رفض السجود لآدم وقد ورث ذريته العداوة لبنى آدم فهم مشغلون بالكيد لذرية آدم والوسوسة وإيقاع العداوة والبغضاء والتحريش وإيقاع الفرقة والطلاق والقتال والتثبيط عن عبادة الله تعالى كما قال تعالى :

﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ۝٦ ﴾ [فاطر]

وفيهم الكثير من المسلمين .

أحوال الشيطان

يهرب من الأذان ويحضر الصلاة

وروى البخارى قال : حدثنا محمد بن يوسف أنبأنا الأوزاعى عن يحى ابن أبى كثير عن أبى سلمة عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ: إذا نودى بالصلاة أدبر الشيطان وله ضراط فإذا قضى أقبل فإذا ثوب بها أدبر فإذا قضى أقبل حتى يخطر بين الإنسان وقلبه، فيقول اذكر كذا وكذا فلا يدرى أثلاثا صلى أم أربعا فإذا لم يدر أثلاثا صلى أم أربعا سجد سجدتى السهو، هكذا رواه منفردا به من هذا الوجه .

(١) اختلف العلماء فى أبى الجن فقال بعضهم أن إبليس أبو الشياطين والجان أبو الجن واستدلوا بقوله تعالى : والجان خلقناه من قبل من نار السموم.

الشيطان يدخل من خلل الصف

وقال أحمد حدثنا أسود بن عامر حدثنا جعفر يعنى الأحمر عن عطاء بن السائب عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : راصوا الصفوف فإن الشيطان يدخل من خلل الصف كأنه الحذف .

الشيطان يقطع الصلاة

وقال البخارى : حدثنا أبو معمر حدثنا عبد الوارث حدثنا يونس عن حميد بن هلال عن أبى صالح عن أبى سعيد قال : قال رسول الله ﷺ : إذا مر بين يدى أحدكم شئ فليمنعه فإن أبى فليمنعه فإن أبى فليقاتله فإنما هو الشيطان(١). ورواه أيضا مسلم وأبو داود من حديث سليمان بن المغيرة عن حميد بن هلال به .

الرسول ﷺ يخنق الشيطان

روى الإمام أحمد حدثنا أبو أحمد حدثنا بشير بن معبد حدثنا أبو عبيد صاحب سليمان قال رأيت عطاء بن يزيد الليثى قائما يصلى فذهبت أمر بين يديه فردنى ثم قال حدثنى أبى سعيد الخدرى أن رسول الله ﷺ قام يصلى صلاة الصبح وهو خلفه يقرأ فالتبست عليه القراءة فلما فرغ من صلاته قال : لو رأيتمونى وإبليس فأهويت بيدى فمازلت أخنقه حتى وجدت برد لعابه بين أصبعى هاتين الإبهام والتى يليها ولولا دعوة أخى سليمان لأصبح مربوطا بسارية من سوارى المسجد يتلاعب به صبيان المدينة فمن استطاع منكم أن لا يحول بينه وبين القبلة أحد فليفعل .

(١) أى أن الشيطان هو الذى يدفعه لقطع صلاة أخيه .

الشرح :

يظهر من هذه الأحاديث عن قطع الصلاة أن الشيطان يحرص على قطع صلاة المسلم بأن يقف بينه وبين القبلة وإلا دفع غيره من الإنس ليمر بين يدى المصلى وقوله عن المار بين يدى المصلى أنه شيطان أى أنه مدفوع بوسوسة الشيطان .

ونفهم من الحديث السابق أن إبليس بنفسه قد حاول قطع صلاة رسول الله ﷺ والظاهر أنه جاء فى صورة إنسان حتى استطاع الرسول الله ﷺ أن يخنقه وكاد يربطه بعمود من أعمدة المسجد وأنه أوحى إليه أنه شيطان أو أن وقوع الخنق عليه كان سيجعل صورته الحقيقية تظهر للناس، وتشل قدرته على التشكل والاختفاء .

وقوله ﷺ لولا دعوة أخى سليمان يقصد قوله تعالى على لسان سليمان عليه السلام :

﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لاَّ يَنْبَغِي لأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ (٣٥)﴾ [ص]

وقال ﷺ يقطع الصلاة ثلاثة المرأة والحمار والكلب الأسود . أ هـ من قولنا .

كاد الرسول ﷺ

أن يربط الشيطان

وروى البخارى عن أبى هريرة عن النبى ﷺ : قال إن عفريتا من الجن تفلت علىَّ البارحة ، أو (كلمة نحوها) ليقطع على الصلاة فأمكننى الله منه فأردت أن أربطه إلىٰ سارية من سوارى المسجد حتى تصبحوا وتنظروا إليه كلكم فذكرت قول أخى سليمان:

﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لاَّ يَنبَغِي لأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ (٣٥)﴾ [ص] قال روح فرده خاسئا .

الشيطان يريد

أن يحرق وجه النبى ﷺ

وروى مسلم من حديث أبى إدريس عن أبى الدرداء قال : قام رسول الله ﷺ يصلى فسمعناه يقول : أعوذ بالله منك ، ثم قال : ألعنك بلعنة الله ثلاثا، وبسط يده كأنه يتناول شيئا فلما فرغ من الصلاة قلنا يا رسول الله قد سمعناك تقول فى الصلاة شيئا لم نسمعك تقوله قبل ذلك ورأيناك بسطت يدك فقال : إن عدو الله إبليس جاء بشهاب من نار ليجعله فى وجهى فقلت أعوذ بالله منك ثلاث مرات . ثم قلت ألعنك بلعنه الله التامة فلم يستأخر ثم أردت آخذه والله لولا دعوة أخينا سليمان لأصبح موثقاً يلعب به ولدان أهل المدينة .

فضل الأستغفار

وجاء بعض الأخبار أنه قال : يارب وعزتك وجلالك لا أزال أغويهم مادامت رواحهم فى أجسادهم فقال الله تعالى وعزتى وجلالى ولا أزل أغفر لهم ما استغفرونى .

وقال تعالى : ﴿ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلاً وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٢٦٨) ﴾ [البقرة]

الشيطان

يطعن المولود فيصرخ

وقال البخارى أخبرنا أبو اليمان أنبأنا شعيب عن أبى الزناد عن الأعرج عن أبى هريرة قال : قال ﷺ : كل ابن آدم يطعن الشيطان فى جنبيه باصبعه حين يولد غير عيسى بن مريم ذهب يطعن فطعن في الحجاب . تفرد به من هذا الوجه .

التثاؤب من الشيطان

عن النبى ﷺ قال التثاؤب من الشيطان فإذا تثاءب أحدكم فليرده ما استطاع فإن أحدكم إذا قال (ها) ضحك الشيطان، رواه البخارى وأحمد وأبو داود والترمذى وصححه النسائى من حديث أبى ذر ، وفى لفظ إذا تثاءب أحدكم فليكظم (يرد ويحبس) ما استطاع فإن الشيطان يدخل .

اختلاس الشيطان من الصلاة

قالت عائشة (رضى الله عنها) سألت النبى ﷺ عن التفات الرجل فى الصلاة فقال هو اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة أحدكم . رواه البخارى وأبو داود والنسائى من رواية أشعب بن أبى الشعثاء سليم بن أسود المحاربى عن أبيه عن مسروق به .

الحلم من الشيطان

قال رسول الله ﷺ الرؤيا الصالحة من الله والحلم من الشيطان فإذا حلم أحدكم حلما يخافه فليبصق عن يساره وليتعوذ بالله من شرها فإنها لا تضره ، رواه البخارى .

الشياطين يحاولون استراق السمع فى السماء

قال النبى ﷺ : الملائكة تحدث فى العنان (الغمام) بالأمر يكون فى الأرض فتسمع الشياطين الكلمة فتقرها فى أذن الكاهن كما تقر القارورة فيزيدون معها مائة كلمة . رواه البخارى .

لكل إنسان قرين من الجن

قال رسول الله ﷺ ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الجن وقرينه من الملائكة قالوا وإياك يا رسول الله وإياى ولكن الله أعاننى عليه فلا يأمرنى إلا بخير (رواه أحمد ومسلم ، عن ابن مسعود) .

الشيطان يثبط عن الجهاد

قال الإمام أحمد حدثنا هاشم بن القاسم حدثنا أبو عقيل هو عبد الله بن عقيل الثقفى حدثنا موسى ابن المسيب عن سالم بن أبى الجعد عن سبرة بن أبى فاكه قال : سمعت رسول الله ﷺ : قال : إن الشيطان قعد لابن آدم بأطرقة فقعد له بطريق الهجرة فقال أتهاجر وتذر أرضك وسماءك وإنما مثل المهاجر كالفرس فى الطول فعصاه وهاجر ، ثم قعد له بطريق الجهاد وهو جهاد النفس والمال فقال أتقاتل فقتل فتنكح المرأة ويقسم المال فعصاه وجاهد . قال رسول الله ﷺ : فمن فعل ذلك منهم كان حقا على الله أن يدخله الجنة وإن رفصته دابة كان حقا على الله أن يدخله الجنة .

دعاء جامع للوقاية والحرز من الشيطان

وقال الإمام أحمد حدثنا وكيع حدثنا عبادة بن مسلم الفزارى حدثنى جبير بن أبى سليمان ابن جبير بن مطعم سمعت عبد الله بن عمر يقول : لم يكن رسول الله ﷺ يدع هذه الدعوات حين يصبح وحين يمسى : اللهم أنى أسألك العافية فى الدنيا والأخرة اللهم أنى أسألك العفو والعافية فى دينى ودنياى وأهل ومالى. اللهم استر عوراتى وآمن روعاتى، اللهم احفظنى من بين يدى ومن خلفى وعن يمينى وعن شمالى ومن فوقى، وأعوذ بعظمتك أن أغتال من تحتى، قال وكيع يعنى الخسف . ورواه أبو داود والنسائى وابن ماجة وابن حبان والحاكم من حديث عبادة بن مسلم وقال الحاكم صحيح الاسناد.

وبعد العلماء يرى أن ذا القرنين من الملائكة فمن هو ذو القرنين وما هى قصته ؟

ذو القرنين

سبب تسمية ذى القرنين بهذا الإسم :

واختلفوا فى السبب الذى سمى ذو القرنين فقيل لأنه كان فى رأسه شبه القرنين . قال وهب ابن منبه كان له قرنان من نحاس فى رأسه وهذا ضعيف. وقال بعض أهل الكتاب لأنه ملك فارس والروم. وقيل لأنه بلغ قرنى الشمس غربا وشرقا ، وملك ما بينهما من الأرض وهذا أشبه من غيره. وهو قول الزهرى.

وقال الحسن البصرى كانت له غديرتان (خصلتا شعر) فسمى ذا القرنين وقال اسحاق بن بشر عن عبد الله بن زياد بن سمعان عمر ابن شعيب عن أبيه عن جده أنه قال دعا ملكا جباراً إلى الله فضربه على قرنه فكسره ورضه . ثم دعاه فدق قرنه الثانى فكسره فسمى ذا القرنين .

وروى الثورى عن حبيب بن أبى ثابت عن أبى الطفيل عن على بن أبى طالب أن سئل عن ذى القرنين فقال كان عبدا ناصح الله فناصحه دعا قومه إلى الله فضربوه على قرنه فمات فأحياه الله فدعا قومه إلى الله فضربوه على قرنه الآخر فمات فسمى ذا القرنين، وهكذا رواه شعبة القاسم بن أبى برزة عن أبى الطفيل عن على به . وفى بعض الروايات عن أبى الطفيل عن على قال لم يكن نبياً ولا رسولاً ولا ملكا ولكن كان عبدا صالحاً .

ما هو اسم ذى القرنين :

وقد اختلف فى اسمه فروى الزبير بن بكار عن ابن عباس كان اسمه عبد الله بن الضحاك بن معد وقيل مصعب بن عبد الله بن قنان بن منصور بن عبد الله بن الأزوين عون بن بنتا بن مالك بن زيد كهلان بن سبأ بن قحطان ، وقد جاء فى حديث أنه كان من حِمْيَر وأمه رومية وأنه كان يقال له ابن الفيلسوف لعقله .

وقد أنشد بعض الحميريين يفتخر :

قد كان ذو القرنــين جـدى مسلمـــا

ملكا تدين لـــه الملـــوك وتحشـــد

بلـغ المشـــارق والمغـــارب يبتـــغى

أسبـــاب أمـــر من حكيـم مرشـد

قال السهيل وقيل كان أسمه مرزبان بن مرزبة ذكره ابن هشام وذكر فى موضع آخر أن اسمه الصعب بن ذى مرائد وهو أول التبابعة وهو الذى حكم لإبراهيم فى بئر السبع. وقيل أنه آفريدون بن أسفيان الذى قتل الضحاك وفى خطبة قس (قس بن ساعده الأيادى) يا معشر أياد بن الصعب ذو القرنين ملك الخافقين وأول الثقلين وعمر ألفين . ثم كلحظة عين ثم أنشد به هشام للأعشى :

والصعب ذا القرنين أصبح ثاويا

بالجنو فى جدث اسم مغيـــاً

ثوى أطال الإقامة والجدث القبر

وذكر الدارقطنى وابن ماكولا أن اسمه هرمس ويقال هروبس بن قيطون بن رزمى بن لنطى بن كشلوخين بن يونان بن يافث بن نوح والله أعلم .

وقال إسحاق بن بشير عن سعيد بن بشير عن قتادة قال اسكندر هو ذو القرنين أبوه أول القياصرة وكان من ولد سام بن نوح عليه السلام ، فأما ذو القرنين الثانى فهذا اسكندر بن فيلبس بن مصريم بن هرمس بن ميطون بن رومى بن لنطى بن يونان بن يافث بن يونة ابن شرخون بن روته بن شرفط بن نوفيل بن رومى بن الأصفر بن يفر بن العيص بن اسحاق ابن إبراهيم الخليل كذا نسبه الحافظ بن عساكر فى تاريخه .

هل ذو القرنين هو اسكندر المقدونى :

المقدونى اليونانى المصرى بانى اسكندرية الذى يؤرخ بأيامه الروم وكان متأخرا عن الأول بدهر طويل كان هذا قبل المسيح بنحو ثلاثمائة سنة وكان ارطاليس الفيلسوف وزيره فيقع بسبب ذلك خطأ كبير وفساد عريض طويل كثير. فإن الأول كان عبدا مؤمنا صالحا وملكا عادلا وكان وزيره الخضر ، وقد كان نبيا. وأما الثانى فكان مشركاً وكان وزيره فيلسوفا وقد كان بين زمانهما أزيد من ألفى سنة .

فأين هذا من هذا لا يستويان ولا يشتبهان إلا على غبى لا يعرف حقائق الأمور فقوله تعالى: "ويسألونك عن ذى القرنين" كان سببه أن قريشا سألوا اليهود عن شئ يمتحنون به علم رسول الله ﷺ فقالوا لهم سلوه عن رجل طواف فى الأرض وعن فتية خرجوا لا يدرى ما فعلوا .

فأنزل الله تعالى قصة أصحاب الكهف وقصة ذى القرنين . ولهذا قال سأتلو عليكم منه ذكرا أى من خبره وشأنه (ذكرا) أى خبرا نافعا فى الأرض وآتيناه من كل شئ سببا أى وسعنا مملكته فى البلاد وأعطيناه من الآت المملكة ما يستعين به على تحصيل ما يحاوله من المهمات العظيمة والمقاصد الجسيمة.

وقال قتيبة عن أبى عوانة عن سماك عن حبيب بن حماد قال كنت عند على بن أبى طالب وسأله رجل عن ذى القرنين كيف بلغ المشرق والمغرب قال له (سخر له السحاب ومدت له الأسباب وبسط له فى النور) وقال أزيدك فسكت الرجل وسكت على (رضى الله عنه) .

ذكر أربعة ملكوا الأرض

وعن أبى اسحاق السبيعى عن عمرو بن عبد الله الوادعى سمعت معاوية يقول : ملك الأرض أربعة ، سليمان بن داود النبى عليهما السلام ، وذو القرنين ورجل من أهل حلوان ورجل آخر . فقيل له الخضر قال لا .

وقال الزبير بن بكار حدثنى إبراهيم بن المنذر عن محمد بن الضحاك عن أبيه عن سفيان الثورى قال بلغنى أنه ملك الأرض كلها أربعة (مؤمنان وكافران سليمان النبى وذو القرنين ونمروذ وبخت نصر) وهكذا قال سعيد بن بشير سواء.

وقال اسحاق بن بشير عن سعيد يرويه عن قتادة عن الحسن قال : كا ذو القرنين ملك بعد النمروذ وكان من قصته أنه كان رجلا مسلما صالحا أتى المشرق والمغرب ومد الله له فى الأجل ونصره حتى قهر البلاد

واحتوى على الأموال وفتح المدائن وقتل الرجال (الكفار) وجال فى البلاد والقلاع فسار حتى أتى المشرق والمغرب فذلك قول الله (ويسألنك عن ذى القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكرا) أى خبرا إنا مكنا له فى الأرض وآتيناه من كل شئ سببا . أى علما بطلب أسباب المنازل .

قال اسحاق : وزعم مقاتل أنه كان يفتح المدائن ويجمع الكنوز فمن تبعه على دينه وتابعه عليه وإلا قتله . وقال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة وعبيد بن بعلى والسدى وقتادة ومطر الوراق معالم الأرض ومنازلها وأعلامها وآثارها .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم يعنى تعليم الألسنة كان لا يغزو قوما إلا حدثهم بلغتهم والصحيح أنه يعلم كل سبب يتوصل به إلى نيل مقصده فى المملكة وغيرها فإنه كان يأخذ عن كل إقليم من الأمتعة والمطاعم والزاد ما يكفيه ويعينه على أهل الإقليم الآخر .

وذكر بعض أهل الكتاب أنه مكث ألفا وستمائة سنة يجوب الأرض ويدعو أهلها إلى عبادة الله وحده لا شريك له وفى كل هذه المدة نظر . والله أعلم .

وقوله (فأتبع سببا) أى طريقا(حتى إذا بلغ مغرب الشمس) يعنى من الأرض انتهى إلى حيث لا يمكن أحداً أن يجاوزه ووقف على حافة البحر المحيط الغربى الذى يقال له أوقيالوس الذى فيه الجزائر المسماه بالخالدات التى هى مبدأ الأطوال على أحد أرباب الهيئة .

والثانى من ساحل هذا البحر كما قدمنا، وعنده شاهد مغيب الشمس

فيما رآه بالنسبة إلى مشاهدته (تغرب فى عين حمئة) والمراد بها البحر فى نظره فإن من كان فى البحر أو على ساحله يرى الشمس كأنها تطلع من البحر وتغرب فيه ولهذا قال (وجدها)أى فى نظره ولم يقل فإذا هى تغرب فى عين حمئة أى ذات حمأة .

قال كعب الأحبار وهى الطين الأسود . وقرأه بعضهم حامية . فقيل يرجع إلى الأول ، وقيل من الحرارة وذلك من شدة المقابلة لوهج الشمس وشعاعها . وقد روى الإمام أحمد عن يزيد بن هارون عن العوام بن حوشب حدثنى مولى لعبد الله بن عمرو عن عبد الله ، قال نظر رسول الله ﷺ إلى الشمس حين غابت فقال :" فى نار الله الحامية لولا ما يزعها (يزجرها ويمنعها) من أمر الله لأحرقت ما على الأرض " فيه غرابة وفيه رجل مبهم لم يسم ورفعه فيه نظر وقد يكون موقوفا من كلام عبد الله بن عمرو فإنه أصاب يوم اليرموك زاملتين من كتب المتقدمين فكان يحدث منها والله أعلم.

فائدة حديثية

قلت: المرفوع هو الذى يرفع إلى النبى ﷺ أى ينسب قوله له ﷺ والموقوف هو الذى يوقف على الصحابى أى من قوله والموقوف على الصحابى له حكم الرفع بشروط أى يعتبر من قول الرسول ﷺ والشروط هى :

١- أن يكون الصحابى من العلماء .

٢- أن يكون ما يقوله من علم الغيب وليس للرأى مدخل فيه .

٣- ألا يكون مكثرا من قراءة الإسرائيليات أو سماعها أ.هـ. من

قولنا ومن زعم من القصاص أن ذا القرنين جاوز مغرب الشمس وصار يمشى بجيشه فى ظلمات مددا طيولة فقد أخطأ وأبعد النجعة . وقال ما يخالف العقل والنقل .

بيان طلب
ذى القرنين عين الحياة

وذكر ابن عساكر عن طريق وكيع عن أبيه عن معتمر بن سليمان عن أبى جعفر الباقر عن أبيه زين العابدين خبرا مطولا جدا فيه إن ذا القرنين كان له صاحب من الملائكة يقال له رنا قيل فسأله ذو القرنين هل تعلم فى الأرض عينا يقال لها عين الحياة فذكر له صفة مكانها فذهب ذو القرنين فى طلبها وجعل الخضر على مقدمته فانتهى الخضر إليها فى واد فى أرض الظلمات فشرب منها ولم يهتد ذو القرنين إليها .

وذكر اجتماع ذى القرنين ببعض الملائكة فى قصر هناك وأنه أعطاه حجرا فلما رجع إلى جيشه سأل العلماء عنه فوضعوه فى كفة ميزان وجعلوا مقابله ألف حجر مثله فوزنها حتى سأل الخضر فوضع قباله حجراً وجعل عليه حفنة من تراب فرجح به ، وقال هذا مثل هذا ابن آدم لا يشبع حتى يوارى التراب فسجد له العلماء تكريما له واعظاماً . وقد كان السجود على هذه الصورة مشروعاً فى الأمم السابقة .

ثم ذكر تعالى أنه حكم فى أهل تلك الناحية، ﴿ قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ ﴾

أى فيجتمع عليه عذاب الدنيا والآخرة وبدأ بعذاب الدنيا لأنه ازجر للكافر .

﴿ وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا (٨٨) ﴾ [الكهف] .

فبدأ بالأهم وهو ثواب الآخرة وعطف عليه الإحسان منه إليه وهذا هو العدل والعلم والإيمان. قال الله تعالى :

﴿ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا (٨٩) ﴾

ثم اتبع سببا أى سلك طريقا راجعا من المغرب إلى الشرق فيقال إنه رجع فى ثنتى عشر سنين

﴿ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا (٩٠) ﴾[الكهف]

أى ليس لهم بيوت ولا أكنان يستترون بها من حر الشمس .

قال كثير من العلماء ولكن كانوا يأوون إذا اشتد عليهم الحر إلى أسراب قد اتخذوها فى الأرض شبه القبور ، قال الله تعالى :

﴿ كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا (٩١) ﴾[الكهف] .

أى ونحن نعلم ما هو عليه ونحفظه ونكفله بحراستنا فى مسيره ذلك كله من مغارب الأرض إلى مشارقها .

خبر ذى القرنين

هو بانى السد الذى يحجز يأجوج ومأجوج عن العالم حتى تقوم الساعة إن شاء الله وإليك مزيد من الأخبار عن ذى القرنين .

قال الله تعالى : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَن ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا (٨٣) إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا (٨٤) فَأَتْبَعَ سَبَبًا (٨٥) حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا (٨٦) قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُّكْرًا (٨٧) وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا (٨٨) ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا (٨٩) حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا (٩٠) كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا (٩١) ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا (٩٢) حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا (٩٣) قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا (٩٤) قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا (٩٥) آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا (٩٦) فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا (٩٧) قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا (٩٨) ﴾[الكهف]

وذكر الله تعالى ذا القرنين هذا وأثنى عليه بالعدل وأنه بلغ المشارق والمغارب وملك الأقاليم وقهر أهلها وسار فيهم بالعدل التام والسلطان المؤيد المظفر المنصور القاهر المقسط . والصحيح أنه كان ملكا من الملوك العادلين وقيل كان نبيا وقيل رسولاً .

وأغرب من قال ملكا من الملائكة . وقد حكى هذا عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فإنه سمع رجلاً يقول لآخر يا ذا القرنين فقال به ماكفاكم أن تتسموا بأسماء الأنبياء حتى تسميتم بأسماء الملائكة ؟ ذكره السهيل .

وقد روى وكيع عن إسرائيل عن جابر عن مجاهد عن عبد الله بن عمرو . وقال كان ذو القرنين نبياً، وروى الحافظ ابن عساكر من حديث أبى محمد بن أبى نصر عن أبى اسحاق بن إبراهيم بن محمد بن أبى ذؤيب حدثنا محمد بن حماد أنبأنا عبد الرزاق عن معمر عن ابن أبى ذؤيب عن المقبرى عن ابى هريرة (رضى الله عنه) قال رسول ﷺ :" لا أدرى اتبع كان لعينا أم لا ، ولا أدرى الحدود كفارات لأهلها أم لا ولا أدرى ذو القرنين كان نبيا أم لا ، وهذا غريب من هذا الوجه (أى رواه راوٍ واحد) .

وقال اسحاق بن بشير عن عثمان بن الساج عن خصيف عن عكرمة عن ابن عباس قال كان ذو القرنين ملكا صالحا رضي الله عنه وأثنى عليه فى كتابه وكان منصورا وكان الخضر وزيره. وذكر أن الخضر عليه السلام كان على مقدمة جيشه وكان عنده بمنزلة المشاور الذى هو من الملك بمنزلة الوزير فى اصطلاح الناس اليوم .

وقد ذكر الأزرقى وغيره أن ذا القرنين أسلم على يدى إبراهيم الخليل وطاف معه بالكعبة المكرمة هو وإسماعيل عليه السلام وروى عن عبيد بن

عمير وابنه عبد الله وغيرها أن ذا القرنين حج ماشياً وأن إبراهيم لما سمع بقدومه تلقاه ودعا له ورضاه وأن الله سخر لذى القرنين السحاب يحمله حيث أراد والله أعلم .

قلت :

أن العلماء مختلفون فى أربعة هل هم أنبياء أم لا ؟ ذو القرنين والعزير والخضر ولقمان . وقد رجح علماء أهل السنة أن الخضر نبى لقوله كما حكاه الله تعالى عنه فى سورة الكهف ﴿ وما فعلته عن أمرى ﴾ . وأنا أرجح ذا القرنين كان نبياً أو رسولا لقوله تعالى قلنا يا ذا القرنين ولم يقل أوحينا التى تحمل على الأنبياء وغيرهم ،

كما قال تعالى وأوحينا إلى أم موسى وقوله وأوحى ربك إلى النحل ، وهذا من قبيل التأويل الذى يعذر صاحبه مثلما اختلف العلماء فى البسملة هل هى آية من كل سورة أم فى الفاتحة فقط أم ليست آية فى كل سورة وهذا كما قلنا من باب التأويل .

فهناك عذر بالتأويل السائغ والجهل وحداثة العهد بالإسلام والسكن بالبادية البعيدة والنسيان والغفلة والذهول والإكراه كما قال بعض الصحابة للرسول ﷺ اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط وكانت شجرة يقدسها المشركون وينزلون تحتها ويعلقون عليها أسلحتهم .

فبين لهم الرسول ﷺ أن هذا من الشرك : قال الله أكبر أنها السنن قلتم والله كما قالت بنو إسرائيل لموسى اجعل لنا إلها كما لهم ألهة ومع ذلك لم يكفرهم ولم ينسبهم إلى الشرك وإنما عذرهم بالجهل لكونهم كانوا حديثى عهد بالإسلام .

وهذا باب يطول شرحه فنكتفى منه بهذا القدر وإنما أردت بيان وجه الحق فى هذه المسألة التى تحير كثيرا من الناس ويتقاتل حولها الكثيرون ويتعادون لظن كثير من الناس أنه ليس هناك عذر لأصحاب الأعذار التى ذكرناها آنفا . انتهى من قولنا .

بناء ذى القرنين للسد

﴿ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا (٩٢) حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا (٩٣) ﴾ [الكهف] يعنى غشما .

يقال إنهم هم الترك أبناء عم يأجوج ومأجوج فذكروا له أن هاتين القبيلتين قد تعدوا عليهم وأفسدوا فى بلادهم وقطعوا السبيل عليهم وبذلوا له جعلا وهو الخراج على أن يقيم بينهم حاجزاً يمنعهم من الوصول إليه.

فامتنع من أخذ الخراج اكتفاء بما أعطاه الله من الأموال الجزيلة (قال ما مكنى فيه ربى خير) ثم طلب منهم أن يجمعوا له رجالات وآلات ليبنى بينهم سداً وهو الردم بين الجبلين وكانوا لا يستطيعون الخروج إليهم إلا من بينهما وبقية ذلك بحار مغرقة وجبال شاهقة.

فبناه كما قال تعالى من الحديد والقطر وهو النحاس المذاب . وقيل الرصاص والصحيح الأول، فجعل اللبن حديداً وبدل الطين نحاساً ولهذا قال تعالى فما اسطاعوا أن يظهروه أى يعلوا عليه بسلالم ولا غيرها(وما استطاعوا له نقبا) أى بمعاول ولا فؤوس ولا غيرها فقابل الأسهل بالأسهل والأشد بالأشد.

(قال هذا رحمة من ربى) أى قدر الله وجوده ليكون رحمة منه بعباده أن يمنع بسببه عدوان هؤلاء القوم على من جاورهم فى تلك المحلة (فإذا جاء وعد ربى) أى الوقت المقدر لخروجهم على الناس فى آخر الزمان جعله دكاء أى مساويا للأرض ولابد من كون هذا ولهذا قال (وكان وعد ربى حقا) ،

كما قال تعالى ﴿حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون واقترب الوعد الحق﴾ الآية . ولذا قال هاهنا ﴿وتركنا بعضهم يومئذ يموج فى بعض﴾ يعنى فتح السد على الصحيح ﴿ونفخ فى الصور فجمعناهم جمعا﴾ .

فى شرح العجب

قالوا : العجب حيرة تعرض للإنسان لقصوره عن معرفة سبب الشئ أو عن معرفة كيفية تاثيره فيه(١) . مثاله أن الإنسان إذا رأى خلية النحل ولم يكن شاهده قبل لكثرته حيره لعدم معرفة فاعله فلو علم أنه من عمل النحل لتحير أيضا من حيث إن ذلك الحيوان الضعيف كيف أحدث هذه المسدسات المتساوية الأضلاع التى عجز عن مثلها المهندس الحاذق مع الفرجار والمسطرة.

ومن أين لها هذا الشمع الذى اتخذت منه بيوتها المتساوية التى لا تخالف بعضها بعضاً كأنها أفرغت فى قالب واحد.

ومن أين لها هذا العسل الذى أودعته فيها ذخيرة للشتاء ؟ وكيف عرفت أن الشتاء يأتيها وأنها تفقد فيه الغذاء ؟ وكيف اهتدت إليه ؟.

وتغطية خزانة العسل بغشاء رقيق ليكون الشمع محيطاً بالعسل من جميع جوانبه، فلا ينشفه الهواء ولا يصيبه الفأر ويبقى كالبرنية(٢) المنضمة

(١) والعجب من مخلوقات الله تبارك وتعالى يؤدى إلى التأمل والتفكير فى الصنعة والصانع قال أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ : وحق على من أنعم الله عليه بمعرفته ووفقه لتأمل هذه المخلوقات والوقوف على ما فى خلقها من لطف التدبير وصواب التقدير بالدلائل القائمة فيها أن لا يقصر فى إظهار ما بلغه من علمه من ذلك بل يجهد فى نشره واذاعته وايراده على المسامع والأذهان لتقوى دواعى الإيمان وتخيب مكيدة الشيطان فى تضليل الوهم محتسبا للثواب فى ذلك واثقا بعون الله تعالى وتأييد إياه . انتهى انظر الدلائل والاعتبار (٥) .

(٢) البرنية : إناء واسع الفم من خزف أو زجاج .
ثخين تجمع على (برانى) . انظر المعجم الوجيز مادة (برن)

الرأس، فهذا معنى العجب[1]، وكل ما فى العالم بهذه المثابة، إلا أن الإنسان يدركه فى زمن صباه عند فقد التجربة ثم تبدو فيه غريزة العقل قليلاً وهو مستغرق الهم فى قضاء حوائجه وتحصيل شهواته وقد أنس بمدركاته ومحسوساته فسقط عن نظره بطول الأنس بها .

فإذا رأى بغتة حيواناً غريباً أو فعلاً خارقاً للعادات انطلق لسانه بالتسبيح فقال سبحان الله وهو يرى طول عمره أشياء تتحير فيها عقول العقلاء وتدهش فيها نفوس الأذكياء .

فمن أراد صحة أو صدق هذا القول فلينظر بعين البصيرة إلى هذه الأجسام الرفيعة وسعتها وصلابتها وحفظها من التغير والفساد إلى أن يبلغ الكتاب أجله.

فإن الأرض والهواء والبحار بالإضافة إليها كحلقة ملقاة فى فلاة[2]، قال الله تعالى:

﴿ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾[الذاريات]

ثم إلى دورانها مختلفاً فإن بعضها يدور بالنسبة إلينا رحوية وبعضها حمائلية وبعضها دولابية وبعضها يدور سريعاً وبعضها يدور بطيئاً .

---

(١) ورؤية هذه الأشياء والتفكير فيها تدفع الانسان إلى اليقين بقدرة الله تعالى فهو الذى أوحى الى النحل بفعل كل هذه الأشكال والصناعات .قال تعالى : ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [النحل]

(٢) الفلاة : أى الأرض الواسعة المقفرة تجمع على (فلا وفلوات) .

ثم إلى دوام حركتها من غير فتور وإلى إمساكها من غير عمد تعمد بها[1] أو تدلى بها أو علاقة تدلى بها. ثم لتنظر إلى كواكبها وكثرتها واختلاف ألوانها فإن بعضها يميل إلى الحمرة وبعضها إلى البياض وبعضها إلى لون الرصاص. ثم إلى مسير الشمس وفلكها مدة سنة وطلوعها وغروبها كل يوم لاختلاف الليل والنهار ومعرفة الأوقات وتمييز وقت المعاش عن وقت الاستراحة[2]، ثم إلى إمالتها عن وسط السماء حتى وقع الصيف والشتاء والربيع والخريف .

(١) قال تعالى ﴿ خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ ﴾ [لقمان] وفكر أيضا فى لون هذه السماء وما فيها من صواب التدبير فإن هذا اللون أشد الألوان موافقة للأبصار وتقوية لها حتى أن من صفات الأطباء لمن أصابه شئ أضر ببصره إدمان النظر إلى الخضرة ما قرب منها إلى السواد وقد وصف الحذاق منهم لمن كل بصره الإطلاع فى إجانة خضراء مملوءة ماء فانظر كيف جعل هذا الأديم أديم السماء بهذا اللون الأخضر إلى السواد لتمسك الأبصار المتقلبة عليه فلا ينكى فيها بطول مباشرتها له فصار هذا الذى أدركه الناس بعد التفكير والتجارب يوجد مفروغا منه فى الخلقة .

(٢) قال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾ ﴾ [النبأ] قال الجاحظ : فكر فى طلوع الشمس وغروبها لإقامة دولتى النهار والليل فلولا طلوعها لبطل أمر العالم كله فكيف كان الناس يسعون فى حوائجهم ومعايشهم ويتصرفون فى أمورهم والدنيا مظلمة عليهم وكيف. كانوا يتهنون بلذة العيش مع فقدهم لذة النور وروحه فالإرب فى طلوعها ظاهر مستغن عن الاطناب فيه ولكن تأمل المنفعة فى غروبها فإنه لولا غروبها لم يكن للناس هدوء ولا قرار مع عظم حاجتهم إلى الهدوء وراحة أبدانهم وهدوء حواسهم وانبعاث القوة الهاضمة لهضم الطعام وتنفيذ الغذاء إلى الأعضاء كالذى تصف كتب الطب من ذلك. ثم فكر بعد هذا فى ارتفاع الشمس

قد اتفق الباحثون على أنها مثل كرة الأرض مائة مرة ونيفاً وستين مرة وفى لحظة تسير أكثر من قطر كرة الأرض ، وقد عرض ذلك جبريل عليه السلام حيث قال للنبى ﷺ "من وقت لا إلى أن قلت نعم سارت الشمس خمسمائة عام" .

ثم لينظر إلى جرم القمر وكيفية اكتسابه النور من الشمس لينوب عنها بالليل، ثم إلى امتلائه وانمحاقه ثم إلى كسوف الشمس وخسوف القمر، ومن العجائب السواد فى جرم القمر فإنه لم يسمع فيه قول شاف إلى زماننا هذا(١)، وكذلك فى المجرة وهى البياض الذى يقال له شرج السماء وهو على ذلك يدور بالنسبة إلينا رحوية .

=وانحطاطها لاقامة هذه الأزمنة الأربعة من السنة وما فى ذلك من المصلحة ففى الشتاء تغور الحرارة فى الشجر والنبات فتتولد فيه مواد الثمار ويستكثف الهواء فينشأ منه السحاب والمطر وتشتد أبدان الحيوان وتقوى الأفعال الطبيعية وفى الربيع تتحرك الطبايع وتظهر المواد المتولدة فى الشتاء فيطلع النبات وينور الشجر ويهيج الحيوان للسفاد .

وفى الصيف يحتدم الهواء فتنضج الثمار وتحلل فضول الأبدان ويجف وجه الأرض فيتهيأ للبناء والاعتمال وفى الخريف يصفو الهواء فترفع الأمراض وتصح الأبدان ويمتد الليل فيمكن فيه بعض الأعمال الطويلة إلى مصالح أخرى لو تقصى ذكرها طال الكلام فيها .

انظر الدلائل والاعتبار (٧) .

(١) لا شك أنه بعد تقدم العلوم وظهور التكنولوجيا الحديثه والأقمار الصناعية وصعود الانسان على ظهر القمر قد فسر كثير من هذه المبهمات .

وقد قيل أن هذا السواد الذى يوجد فى جرم القمر ما هى إلا منخفضات عميقة جداً على سطح القمر تشبه البحار الجافة التى لا ماء فيها .

وكل هذه الأشياء تدل على قدرته سبحانه وتعالى ولله در القائل .

وفى كل شئ له آية   تـدل على أنه واحـد

وعجائب السموات لا نستطيع إحصاء عشرها لكن القدر الذى جرى فى جرم القمر ذكرناه تبصرة لكل عبد منيب. ثم لينظر إلى ما بين السماء والأرض من انقضاض الشهب والغيوم والرعود والبروق والصواعق الأمطار والثلوج والرياح المختلفة المهاب(١) .

وليتأمل السحاب الكثيف المظلم كيف اجتمع فى جو صاف لاكدورة فيه، وكيف حمل الماء وتسخير الرياح فإنها تتلاعب به وتسوقه إلى المواضع التى أرادها الله تعالى فترش وجه الأرض وترسله قطرات متفاضلة لا تدرك قطرة ليصيب وجه الأرض برفق .

فلو صبه صباً لأفسد الزرع بخدشه وجه الأرض ويرسلها مقداراً كافياً لا كثيراً زائداً على الحاجة فيعفن النبات ولا قليلاً ناقصاً عن الحاجة فلا يتم به النمو كما قال تعالى:

﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ ﴿١٨﴾ ﴾[المؤمنون]

ثم إلى اختلاف الرياح فإن منها ما يسوق السحب(٢) ومنها ما ينشرها ومنها يجمعها ومنها ما يعصرها ومنها ما يلقح الأشجار(٣) ومنها ما يربى الزرع والثمار ومنها ما يجففها.

---

(١) مهاب الريح : أى مواضع هبوبها مفردها مهب .

(٢) قال تعالى : ﴿ وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَٰلِكَ النُّشُورُ ﴿٩﴾ ﴾ [فاطر]

(٢) قال تعالى ﴿ وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الحجر]

ثم لينظر إلى الأرض وجعلها قراراً لتكون فراشاً ومهاداً ثم إلى سعة أكنافها وبعد أقطارها حتى عجز الآدميون عن بلوغ جميع جوانبها.

قال تعالى: ﴿ وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ [الذاريات]

ثم إلى جعل ظهرها محلاً للأحياء وبطنها للأموات، فتراها وهى ميتة

قال تعالى: ﴿ ... فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ ﴾[الحج][1]

وأظهرت أجناس المعادن وأنبتت أنواع النباتات وأخرجت أصناف الحيوان، ثم إلى إحكام أطرافها بالجبال الشامخات كأوتاد لها يمنعونها من أن تميد، ثم إلى ايداع أوشال المياه فى خزانات ليخرج منها قليلاً قليلاً فتتفجر منها العيون وتجرى منها الأنهار دائماً.

ثم لينظر إلى البحار العميقة التى هى خلجان من البحر الأعظم المحيط بجميع الأرض، حتى إن جميع المكشوف من البوادى والجبال بالإضافة إلى الماء كجزيرة صغيرة فى بحر عظيم وبقية الأرض مستورة بالماء. ثم إلى ما فيها من الحيوان والجواهر، وما من صنف من أصناف حيوان البر إلا وفى البحر أمثاله وأضعافه، وفيها أجناس لا يعهد لها نظير فى البر. ثم لينظر إلى خلق اللؤلؤ فى صدفه تحت الماء ثم إلى انبات المرجان فى صميم الصخر تحت الماء وهو نبات على هيئة شجر ينبت من الحجر.

ثم إلى ما عداه من العنبر وإلى أصناف النفائس التى يقذفها البحر

(١) سورة الحج آية (٥) قوله {اهتزت} أى تحركت بالنبات {ربت} أى ازدادت وانتفخت.

ويستخرج منه ، ثم إلى السفن كيف سيرت فى البحار وسرعة جريها وإلى إيجاد الأنهار ومعرفة النواتى[1] وموارد الرياح ومهابها وسواقيها وعجائب البحار كثيرة لا مطمع فى إحصائها ، وقد قيل : حدث عن البحر ولا حرج، وفيما ذكرناه كفاية، ثم لينظر إلى أنواع النبات وأصناف فواكهها مختلفة الأشكال والألوان والطعم والأراييج (تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الأكل)[2] مع أتحاد الأرض والهواء والماء فيخرج من نواة نخلة مطوقة بعناقيد الرطب وبرة حبة "سبع سنابل فى كل سنبله مائة حبة" ثم لينظر إلى أرض البوادى وتشابه أجزائها فإنها إذا نزل القطر عليها (اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج) .

ثم إلى كثرتها واختلاف أصنافها متشابة وغير متشابه ثم إلى كثرة أشكالها وألوانها وطعمها ورائحتها واختلاف طبائعها وكثرة منافعها، فلم ينبت من الأرض ورقة إلا وفيها منفعة أو منافع يقف فهم البشر دون إدراكها[3] .

(١) قال تعالى : ﴿ وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ ﴾ [الرعد]

(٢) فلم يخلق الله شيئا هباءا فإن له فى خلقه حكم وشئون وقد قيل :

وكم لله من سر خفى ... يدق خفاء على الفهم الذكى

(٣) فالذى يفكر فى خلق الحيوانات وأصنافها وأنواعها وخصائص كل منها ليجدها أكبر دليل على قدرة الله تبارك وتعالى قال تعالى : ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٥﴾ ﴾] سورة النور آية (٤٥) وما كان هذا التنويع فى الخلق إلا دلالة على قدرة الله تبارك وتعالى .

ثم لينظر إلى أصناف الحيوان وانقسامها إلى ما يطير ويقوم ويمشى وانقسام الماشى إلى ما يمشى على بطنه وإلى ما يمشى على رجلين وإلى ما يمشى على إربع[1] وإلى أشكالها وألوانها وصورها وأخلاقها وأفعالها ليرى عجائب تدهش منها العقول بل فى البقة أو النمل أو العنكبوت أو النحل فإنها من ضعاف الحيوانات ليرى ما يتحير منه من بنائها البيت وجمعها الغذاء وادخارها القوت لوقت الشتاء وحذقها فى هندستها ونصبها الشبكة للصيد.

وما من حيوان صغير ولا كبير إلا وفيه من العجائب ما لا يحصى ، وإنما سقط التعجب هنا للأنس وكثرة المشاهدة. وعجائب السموات والأرض كما قال تعالى:

﴿ قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ (١٠١) ﴾[يونس]

بحار لا يدرى سواحلها ولا يعرف أوائلها ولا أواخرها[2] والله الموفق للصواب .

---

(١) لعل العلم الحديث استطاع أن يحدد هذه المعلومات إلا أن هذه البحار وامتدادها وبناءها وما تحتويه لهو العبرة الحقيقية والآية الجلية على قدرة الله تبارك وتعالى فأنظر مثلا إلى الأمواج وتتابعها وحركتها فإن من الحكم والعبر مالا يحصى ولا يعد ومن أوضح هذه العبر أنها تمنع تعفن ماء البحر وتجدده بحركتها وتعطى الحياة والجمال للبحر فالناظر إليه ما عليه إلا أن يقول سبحان الخلاق العليم .

فى سكان السموات

وهم الملائكة

زعموا أن الملك جوهر ذو حياة وعقل والاختلاف بين الملائكة والجن والشياطين كالاختلاف بين الأنواع . واعلم أن الملائكة جواهر مقدسة عن طلب الشهوة وكدورة الغضب لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون طعامهم التسبيح وشرابهم التقديس وأنسهم بذكر الله تعالى وفرحهم بعبادته خلقوا على صور مختلفة وأقدار متفاوته ولاصلاح مصنوعات واسكان سمواته وقال ﷺ : «أطت السماء وحق لها أن تئط ما فيها قدر شبر إلا فيه ملك راكع أو ساجد»(١).

وقال بعض الحكماء إن لم يكن فى فضاء الأفلاك وسعة السموات خلائق فكيف يليق بحكمه البارئ جلت قدرته تركها فارغة مع شرف جوهرها فإنه لم يترك قعر البحار المالحة المظلمة فارغاً حتى خلق فيه أجناس الحيوانات وغيرها ولم يترك جو الهواء الرقيق حتى خلق له أنواع الطير ولم يترك البرارى اليابسة والآجام والجبال حتى خلق فيها أجناس الهوام والحشرات .

وأما أصناف الملائكة فلا يعرفهم غير خالقهم كما قال تعالى :

﴿ وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلاَّ مَلائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلاَّ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا وَلا يَرْتَابَ

---

(١) حديث صحيح رواه داود والنسائي وأحمد فى مسنده باسناد صحيح .

الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلاً كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلاَّ هُوَ وَمَا هِيَ إِلاَّ ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ﴿٣١﴾ ﴾[المدثر]

غير أن صاحب الشرع أعلم ببعضهم ، وبحسب وقوع الحوادث اهتدى العقل إلى بعضهم حتى قيل ما من ذرة من ذرات العالم إلا وقد وكل بها ملك أو ملائكة وما من قطرة إلا ومعها ملك ينزل بها من السحاب ويدعها فى الكان الذى قدر الله تعالى ، هذا حال الذرات والقطرات فما ظنك بالأفلاك والكواكب والهواء والغيوم والرياح والأمطار والجبال والقفار والبحار والعيون والأنهار والمعادن والنبات والحيوان ؟

فبالملائكة صلاح العالم وكمال الموجودات بتقدير العزيز العليم . ولنذكر بعض من أخبر بهم صاحب الشريعة صلوات الله عليه وسلامه وهم الملائكة المقربون عليه وعليهم السلام ، فمنهم حملة العرش صلوات الله عليهم وهم أعز الملائكة وأكرمهم على الله تعالى ، تتقرب إليهم سائر الملائكة ويسلمون عليهم بالغدو والروح لمكانتهم عند الله تعالى وهم يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا، فمنهم من هو على صورة النسر، ومنهم من هو على صورة البشر .

قال ابن عباس -رضى الله عنهما- : خلق الله حملة العرش وهم اليوم أربعة فإذا كان يوم القيامة أمدهم الله تعالى بأربعة أخرى فذلك

قوله تعالى: ﴿ ... وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ ﴿١٧﴾ ﴾[الحاقة]

وهو عظم لا يوصف فمنهم كما تقدم بمن هو على صورة ابن آدم يشفع لبنى آدم فى أرزاقهم، ومنهم من هو على صور الثور يشفع للبهائم فى أرزاقها، ومنهم من هو على صورة النسر يشفع للطيور فى أرزاقها ، ومنهم من هو على صورة الأسد يشفع للسباع فى أرزاقها ، ومنهم الروح الأمين عليه السلام وهو ملك يقوم صفاً والملائكة كلهم صفاً لكرامته عند الله تعالى وعظمته وإنما سمى روحاً لأن كل نفس من أنفاسه يصير روحاً لحيوان وقد وكله الله تعالى بادارة الأفلاك وحركات الكواكب ويما تحت القمر من العناصر والمولدات من المعادن والنباتات والحيوانات وهو أكبر من الفلك وأقوى منه وأعظم وأشرف وأعلى من الجسمانيات وهو قادر على تسكين الأفلاك كما هو قادر على تحريكها بإذن الله تعالى .

ومنهم إسرافيل عليه السلام وهو مبلغ الأوامر ونافخ الأرواح فى الأجساد قال رسول الله ﷺ : «كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم القرن وأصغى بالأذن حتى يؤمر فينفخ» . (حديث صحيح رواه ماجه وأحمد فى مسنده).

قال مقاتل القرن الصور وذلك أن إسرافيل عليه السلام واضع فاه على القرن وهو كهيئة البوق ودائرة رأس البوق كعرض السموات والأرض وهو شاخص ببصره نحو العرش ينظر متى يؤمر فينفخ فإذا نفخ صعق من فى السموات ومن فى الأرض إلا من شاء الله تعالى قالت السيدة عائشة -رضى الله عنها- قلت لكعب الأحبار -رضى الله عنه- : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «يا رب جبريل وميكائيل وإسرافيل[1] أما جبريل

(١) حديث صحيح رواه مسلم .

وميكائيل فسمعت بهما فى القرآن ، وأما إسرافيل[1] فأخبرنى عنه فقال كعب إنه ملك عظيم الشأن له أربعة أجنحة أحدهما سد المشرق والآخر سد به المغرب والثالث ينزل به من السماء إلى الأرض والرابع التثم به من عظمة الله تعالى قدماه تحت الأرض السابعة ورأسه ينتهى إلى أركان قوائم العرش وبين عينيه لوح من جوهر فإذا أراد الله عز وجل أن يحدث أمراً فى عباده أمر القلم أن يخط فى اللوح ثم أدنى اللوح إلى إسرافيل فيكون بين عينيه ثم هو ينتهى إلى ميكائيل صلوات الله عليهم فهم له أعوان فى جميع العالم حتى على الأركان والمولدات ينفخون أرواحها فيها فيصير معدناً ونباتاً وحيواناً وهى القوى التى بها صلاحها وحياتها، فسبحان الله البارئ المصور.

ومنهم (جبريل الأمين) عليه السلام ، وهو أمين الوحى وخازن القدس ويقال له الروح[2] الأمين وروح القدس والناموس الأكبر وطاووس الملائكة.

جاء فى الخبر (إن الله تعالى إذا تكلم بالوحى سمع أهل السماء صلصلة كجر السلسلة على الصفا فيصعقون ولايزالون كذلك حتى يأتيهم جبريل عليه السلام فإذا جاءهم فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق فينادون الحق بالحق) .

وجاء فى الخبر أيضاً أن النبى ﷺ قال لجبريل عليه السلام (إنى أحب أن أراك على صورتك التى صورك الله فيها فقال إنك لا تطيق ذلك

(١) إسرافيل الملك الموكل بالنفخ فى الصور . انظر عالم الملائكة الأبرار للأشقر.

(٢) قال تعالى ﴿تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم﴾ والروح هو جبريل عليه السلام وخصه بالذكر تشريفا وتكريما له .

فقال ﷺ أرنى فواعده جبريل بالبقيع[1] فى ليلة مقمرة فأتاه فنظر إليه النبى ﷺ فإذا هو قد سد الآفاق فوقع مغشيا عليه فلما أفاق عاد جبريل عليه السلام إلى صورته فقال ﷺ ما ظننت أن أحداً من خلق الله تعالى هكذا فقال له جبريل عليه السلام كيف لو رأيت إسرافيل وإن العرش على كاهله وإن رجليه قد مرقتا تحت تخوم الأرض السفلى وإنه ليتصاغر من عظمة الله تعالى حتى يصير كالوصع والوصع العصفور الصغير) .

وقال كعب الأحبار -رضى الله عنه- إن جبريل عليه السلام من أفضل الملائكة له ستة أجنحة فى كل واحد مائة جناح وله وراء ذلك جناحان لا ينشرهما إلا عند هلاك القرى (ولما نزل على رسول الله ﷺ -إنه لقول رسول كريم ذى قوة- سأله رسول الله ﷺ عن قوته فقال رفعت قرى قوم لوط بجناحى وصعدت بها حتى سمه أهل السماء صياح ديكتهم ثم قلبتها) وأعوانه موكلون على جميع العالم من شأنهم إحداث القوة الغضبية والحمية لدفع الشر والإيذاء.

ومنهم (ميكائيل) عليه السلام وهو موكل بالأرزاق للأجساد والحكمة والمعرفة للنفوس .

قال كعب الأحبار : فى السماء السابعة البحر المسجور وعليه من الملائكة ما شاء الله وميكائيل قائم على البحر المسجور لا يعرف وصفة وعدد أجنحته إلا الله تعالى ولو أنه فتح فاه لم تكن السموات فيه إلا كخردلة فى بحر ولو أشرف على أهل السموات والأرض لاحترقوا من نوره

(١) البقيع : منطقة خالية قريبة من المدينة كان المسلمون يدفنون بها موتاهم.

من نوره وله أعوان موكلون على جميع العالم من شأنهم إحداث قوة النهوض فى الأركان والمولدات وغيرها التى بها الوصول إلى الغايات وبلوغ الكمال فى الكائنات .

ومنهم (عزرائيل) عليه السلام وهو مسكن الحركات ومفرق الأرواح منا لأجساد .

قال كعب الأحبار عزرائيل فى السماء الدنيا وخلق الله تعالى رجليه فى تخوم الأرضين ورأسه فى السماء العليا ووجهه مقال اللوح المحفوظ وله أعوان بعدد من يموت والخلق كلهم بين عينيه لا يقبض روح مخلوق إلا بعد أن يستوفى رزقه وينقضى أجله .

وعن أشعث بن أسلم أن إبراهيم عليه السلام سأل ملك الموت عليه الصلاة والسلام فقال له ماذا تصنع إذا كان نفس بالمشرق ونفس بالمغرب ووقع الوباء بأرض والتقى الزحفان بأخرى فقال أدعوا الأرواح بإذن الله تعالى فتكون بين أصبعى هاتين .

وعن وهب بن منبه -رضى الله عنه- أن سليمان بن داود عليهما السلام تمنى أن يرى ملك الموت ليتخذه صديقاً فلم يشعر سليمان حتى أتاه كأنه خرج من تحت سريره فقال له سليمان من أنت ؟ فقال ملك الموت فصعق سليمان عليه السلام فلما رأى ملك الموت قال اللهم إن عبدك سليمان تمنانى ونزل به ما ترى ، اللهم إنى أسألك أن تقويه على رؤيتى ، فأوحى الله تعالى إليه أن ضع يدك على صدره ففعل ذلك فأفاق سليمان عليه السلام وقال يا ملك الموت إنى أراك عظيم الخلق أو كل الملائكة مثلك ؟

فقال والذى بعثك بالحق نبياً إن رجلى الآن على منكبى ملك قد جاوزت رأسه السموات السبع وارتفع فوق ذلك بمسيرة خمسمائة عام ورجلاه قد جاوزتا الثرى بمسيرة خمسمائة عام وهو فاتح فاه رافع رأسه باسط يديه، فلو أذن الله تعالى له أن يطبق شفته العليا والسفلى لأطبق على ما بين السماء والأرض فقال له سليمان عليه السلام لقد وصفت أمراً عظيماً فقال له كيف لو رأيتنى على صورتى التى أقبض فيها أرواح الكفار فصار ملك الموت صديقاً له ويأتيه كل خميس ويقعد عنده إلى أن تزول الشمس فقال له سليمان عليه السلام يوماً ما لى أراك لا تعدل بين الناس تأخذ هذا وتدع هذا ؟

فقال له ملك الموت ليس المسئول بأعلم من السائل إنما هى كتب فيها أسماء المقبوضين تلقى إلى ليلة الصك وهى ليلة النصف من شعبان إلى مثلها من السنة القابلة، فأما أهل التوحيد فاقبض أرواحهم بيمينى فى حريرة بيضاء مغموسة فى المسك وترفع إلى عليين .

وأما أهل الكفر فاقبض أرواحم بشمالى فى سربال من قطران وتنزل إلى سجين وأمرهم إلى عالم الغيب والشهادة فينبئهم بما كانوا يعلمون.

وعن الأعمش عن خيثمة قال دخل ملك الموت على سليمان عليهما السلام فجعل ينظر إلى أحد جلسائه ويديم النظر إليه فلما خرج ملك الموت قال الرجل يا نبى الله من كان هذا ؟

قال إنه ملك الموت قال رأيته ينظر إلى كأنه يريدنى أريد أن تخلصنى منه بأن تأمر الريح لتحملنى إلى أقصى بلاد الهند فأمر سليمان الريح بذلك ففعلت فلما عاد ملك الموت إلى سليمان عليه السلام قال له رأيتك تديم

النظر إلى بعض جلسائى قال كنت أعجب منه لأنى أمرت أن أقبض روحه بأقصى بلاد الهند فى ساعة قريبة ورأيته عندك

وقال وهب قبض ملك الموت روح جبار من الجبابرة فقالت الملائكة لملك الموت لمن كنت أشد رحمة ممن قبضت أرواحهم فقال أمرت بقبض روح امرأة فى فلاة من الأرض فأتيتها وقد ولدت مولوداً فرحمتها لغربتها ورحمت ولدها لصغره وكونه فى فلاة لا أحد بها فقالت الملائكة الجبار الذى قبضت الآن روحه هو ذلك المولود فقال ملك الموت سبحان اللطيف بعباده .

ومنهم (الكروبيون) عليهم السلام وهم العاكفون فى حظيرة القدس لا التفات لهم إلى غير الله تعالى، لاستغراقهم بجمال حضرة الربوبية يسبحون الليل والنهار لا يفترون .

وفى الخبر (إن لله تعالى أرضاً بيضاء مسيرة الشمس فيها ثلاثون يوماً محشوة خلقاً من خلق الله تعالى لا يعلمون أن الله تعالى يعضى طرفه عين قالوا يا رسول الله أمن ولد آدم هم قال لا يعلمون أن الله تعالى خلق آدم قيل يا رسول الله أنى غفل عنهم إبليس ؟

قال لا يعلمون أن الله تعالى خلق إبليس ثم تلا قوله تعالى: ﴿ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لا تَعْلَمُونَ ⑧ ﴾[النحل]

ومنهم (ملائكة سبع سموات) قال كعب الأحبار هؤلاء ملائكة مداومون على التسبيح والتهليل فى القيام والقعود والركوع والسجود يسبحون الليل والنهار لا يفترون حتى تقوم الساعة فإذا قامت الساعة يقولون سبحانك ما عبدناك حق عبادتك.

وعن ابن عباس -رضى الله عنها- أنه قال (ملائكة سماء الدنيا على صورة البقر وقد وكل الله تعالى بهم ملكاً اسمه إسماعيل وملائكة السماء الثانية على صورة العقاب ووكل الله بهم ملكاً اسه ميخائيل وملائكة السماء الثالثة على صورة النسر والملك الموكل بهم اسم صاعد يابيل وملائكة السماء الرابعة على صورة الخيل والملك الموكل بهم اسمه صلصابيل وملائكة السماء الخامسة على صورة الحور العين والملك الموكل بهم اسمه كلكابيل وملائكة السماء السادسة علي صورة الودان والملك الموكل بهم اسمه سمخائيل وملائكة السماء السابعة على صورة بنى آدم والملك الموكل بهم اسمه روفابيل .

قال وهب وفوق السموات السبع حجب فيها ملائكة لا يعرف بعضهم بعضاً لكثرة عددهم يسبحون الله تعالى بلغات مختلفة كالرعد القاصف .

ومنهم (الحفظة) عليهم السلام وهم الكرام الكاتبون قال ابن جريج هما ملكان موكلان بابن آدم أحدهما عن يمينه والآخر عن يساره. وقال بعضهم هم أربعة اثنان بالليل واثنان بالنهار وخامس لا يفارق ليلاً ولا نهاراً. وللكفار أيضاً حفظة لأن آية الحفظة نزلت فى شأن الكفار وهى قوله تعالى:

﴿ كَلاَّ بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ (٩) وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ (١٠) كِرَامًا كَاتِبِينَ (١١) يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ (١٢) ﴾[الانفطار]

وفى الخبر (إن الملك ليرفع القلم عن العبد إذا أذنب ست ساعات فإذا تاب واستغفر لم يكتبه عليه وإلا كتبه) .

وفى رواية أخرى (فإذا كتبه عليه وعمل حسنة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال وهو أمين عليه ألق هذه السيئة حتى ألقى من حسناته واحدة من تضعيف العشرة وأرفع تسع حسنات فيفعل صاحب الشمال) .

وعن أنس -رضى الله عنه- أن رسول الله ﷺ قال : (إن الله تعالى وكل بعبده ملكين يكتبان عليه فإذا مات قالا يا رب قبضت عبدك فلانا فإلى أين نذهب ؟ قال الله تعالى سمائى مملوءة من ملائكى يعبدوننى وأرضى مملوءة من خلقى يطيعوننى اذهبا إلى قبر عبدى فسبحانى وكبرانى وهللانى واكتبا ذلك فى حسنات عبدى إلى يوم القيامة) .

ومنهم (المعقبات) عليهم السلام وهم الملائكة الذين ينزلون بالبركات ويصعدون بأرواح بنى آدم وأعمالهم بالليل والنهار فإذا واظب الإنسان على الصلوات فى أول أوقاتها فإذا صلى الفجر آتاه ملائكة النهار وجدوه مصلياً وفارقه ملائكة الليل وتركوه مصلياً وهكذا إذا صلى المغرب وما بين الصلاتين من الذنوب تكفرها الصلاة وإذا كان كذلك فلا يرفعون له غير الحسنات .

ويحقق أمر الملائكة ما روى عن النبى ﷺ أنه قال : يقول الله تعالى «يا ابن آدم ما تنصفنى أتحبب إليك بالنعم وتمقت إلى بالمعاصى خيرى إليك نازل وشرك إلى صاعد ولا يزال ملك كريم يأتينى عنك فى كل يوم وليلة بعمل قبيح يا ابن آدم لو سمعت وصفك من غيرك وأنت لا تعلم من الموصوف لأسرعت إلىّ مقتة» .

ومنهم (منكر ونكير) عليهما السلام وهما ملكان فظان غليظان يسألان فى القبر كل أحد عن ربه ونبيه .

وعن أنس بن مالك -رضى الله عنهم- قال : قال رسول الله ﷺ .

(إن العبد إذا وضع فى قبره وتولى عنه أصحابه وهو يسمع قرع نعالهم أتاه ملكان فيقعدانه فيقولان له ما كنت تقول فى هذا الرجل يعنى محمداً ﷺ ، فأما المؤمن فيقول أشهد أن عبد الله ورسوله فيقال له أنظر إلى مقعدك من النار قد أبدل بمقعد من الجنة فيراهما جميعاً ، وأما المنافق والكافر فيقال له ما كنت تقول فى هذا الرجل ؟ فيقول لا أدرى أقول ما يقول الناس فيقال له دريت ولا تليت ويضرب بمطراق من حديد ضربة فيصيح صيحة يسمعها من يليه غير الثقلين)(١) .

ومنهم (السياحون) عليهم السلام وهم صنف من الملائكة يحبون مجالس الذكر فإذا رأوا مجالس الذكر احتووا عليها .

وعن أبى سعيد الخدرى -رضى الله عنه- عن رسول الله ﷺ أنه قال : (إن لله تعالى سياحون فى الأرض فضلاً عن كتاب الناس فإذا وجدوا قوماً يذكرون الله تعالى ينادون هلموا إلى بغيتكم فيجيئون بهم إلى السماء الدنيا فإذا انصرفوا يقول الله تعالى على أى شئ تركتم عبادى يصنوعه ؟ فيقولون تركناهم يحمدونك ويمجدونك ويقدسونك فيقول الله تعالى وهل رأونى فيقولون لا فيقول كيف لو رأونى فيقولون لو رأوك لكانوا أشد تسبيحاً وتمجيداً فيقول لهم من أى شئ يتعوذون فيقولون من النار فيقول وهل رأوها فيقولون لا فيقول كيف لو رأوها فيقولون لو رأوها لكانوا أشد هرباً منها وأشد تعوذاً فيقول أى شئ يطلبون فيقول الجنة فيقول وهل رأوها فيقولون لا فيقول كيف لو رأوها فيقولون لو رأوها لكانوا أشد طلباً

(١) حديث حسن رواه الترمذى ٣/٢٨٣ وصححه الألبانى.

لها فيقول أشهدكم أني قد غفرت لهم فيقولون كان فيهم فلان لم يردهم إنما جاء لحاجة فيقول هم القوم الذين لا يشقى بهم جليسهم)[1] .

ومنهم (هاروت وماروت) هما ملكان معذبان ببابل .

عن ابن عباس -رضى الله عنهما- (لما خرج آدم عليه السلام من الجنة عرياناً نظرت إليه الملائكة وقالت إلهنا هذا آدم بديع فطرتك أقله ولا تخذله فمر بملأ من الملائكة فوبخوه نقضه عهد ربه وكان ممن وبخه يومئذ هاروت وماروت فقال آدم يا ملائكة ربى ارحموا ولا توبخوا فذلك الذى جرى علىّ كان قضاء ربى فأبلاهما الله تعالى حتى عصيا ومنعا من الصعود إلى السماء.

فلما كان أيام إدريس عليه السلام صارا إليه وذكرا له قصتهما ثم قالا له هل لك أن تدعو لنا حتى يتجاوز عنا ربنا ؟ فقال إدريس عليه السلام كيف لى العلم بالتجاوز عنكما قالا ادع لنا فإن رأيتنا فهو الاستجابة وإن لم ترانا هلكنا فتوضأ إدريس عليه السلام وصلى ودعا الله تعالى ثم التفت فلم يرهما فعلم أن العقوبة حلت بهما واختطفا إلى أرض بابل ثم خيرا بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة فاختارا عذاب الدنيا فهم مسلسلان معذبان فى بئر بأرض بابل منكسين إلى يوم القيامة .

وعن ابن عمر -رضى الله عنهما- عن رسول الله ﷺ قال (أشرفت الملائكة على أهل الدنيا فرأوهم يعصون الله فقالوا يا ربنا ما أقل معرفة هؤلاء بعظمتك فقال الله تعالى لو كنتم فى سلاحهم لعصيتمونى قالوا كيف

---

(١) حديث صحيح رواه أصحاب السنن .

يكون هذا ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك فقال اختاروا ملكين فاختارو هاروت وماروت ثم أهبطا إلى الأرض وركبت فيهم شهوات بنى آدم ومثلت لهما فما عصما حتى واقعا المعصية فخيرا بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة فنظر أحدهما إلى صاحبه فقال له ما تقول فقال أقول إن عذاب الدنيا ينقطع وعذاب الآخرة لا ينقطع فاختارا عذاب الدنيا فهما اللذان ذكرهما الله تعالى فى قوله :

﴿ وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (١٠٢) ﴾ [البقرة]

وفى رواية أخرى : قال لهما (إنى أرسل رسولاً إلى الناس وليس بينى وبينكما رسولاً أنزلا ولا تشركا بى شيئاً ولا تقتلا لا تسرقا ، قال كعب فما استكملا يومهما الذى نزلا فيه حتى أتيا ما حرم عليهما).

ومنهم (الملائكة الموكلون بالكائنات) لاصلاحها ودفع الفساد عنها وقد وكل بكل فرد من أفرادها من الملائكة ما شاء الله تعالى .

وروى أبو أمامه -رضى الله عنه- عن رسول الله ﷺ أنه قال (وكل بالمؤمن مائة وستون ملكاً يذبون عنه ما لا يقدر عليه من ذلك بالبصر سبعة

أملاك يذبون عنه كما يذب الذباب عن قصعة العسل فى اليوم الصائف) .

وأما المائة والستون فأمر عرفه النبى ﷺ بنور النبوة ولكنا نمثل جهة التغذى فإنه أمر مشترك بين الحيوان والنبات وأنت تقيس عليه غيره من الجهات .

فتقول : إن جزءًا من الغذاء لا يصير جزءًا من المتغذى حتى يعمل فيه عدة من الملائكة ومعنى التغذى أن يصير جزءًا من الغذاء من المتغذى فإن الغذاء جماد لا يصير دماً ولحماً وعظماً بنفسه كما أن البرُ لا يصير طحيناً وعجيناً ورغيفا حتى تعمل فيه الصناع فصناع الظاهر أناس وصناع الباطن الملائكة فقد أسبغ الله عليك نعمة ظاهرة وباطنة .

وأقول : أولاً لابد من ملك يجذب الغذاء إلى جوار اللحم والعظم فإن الغذاء لايتحرك بنفسه ولابد من ثان يمسكه حتى تعمل فيه الحرارة ثم لابد من ثالث يلبسها صورة الدم ثم لابد من رابع يدفع القدر الفاضل عن الغذاء ثم لابد من خامس يميز العظم واللحم والعروق وما يليق بها ولابد من سادس يلصق ما اكتسب صورة العظم بالعظم وما اكتسب صورة اللحم باللحم ثم لابد من سابع يراعى المقادير فى الإلصاق فيلحق بالمستدير ما لا يبطل استدراته وبالعريض ما لا يبطل عرضه وبالمجوف ما لا يبطل تجويفه ويحفظ على كل واحد مقدار حاجته ويدفع الزائد فإنه لو جمع على الأنف من الغذاء مقدار ما يجمع لفخذ حاجته لتشوهت الصورة بل ينبغى أن يسوق إلى الأجفان رقيقها وإلى الحدقة صافيها وإلى الأفخاذ غليظها وإلى العظم صلبها مع مراعاة القدر والشكل وإلا بطلت الصورة فلو لم يراع هذا الملك هذا القسط فساق الغذاء إلى جميع البدن ولم يسق إلى رجل واحدة

مثلاً لبقيت تلك الرجل كما كانت فى أيام الصغر وكبر جميع البدن فترى شخصاً فى ضخامة رجل وله رجل كأنها رجل صبى ولا ينتفع بنفسه ألبتة فمراعاة هذه الهندسة مفوضة إلى هذا الملك فهذا حال بعض الملائكة الموكلين ببدن بنى آدم مشتغلون بك وأنت فى النوم أو تترد فى الغفلة وهم يصلحون بدنك .

قال تعالى : ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٨)﴾[النحل]

وهكذا حال جميع الكائنات فما من ش إلا وقد وكل الله به ملكاً أو ملائكة .

صور الملائكة

وملابسهم وألوانهم(١)

حملة العرش صلوات الله عليهم أربعة(٢) صور: آدمى وبقر ونسر وأسد.

(الآدمى) ملبوسه جبة خضراء وفوق الجبة الخضراء جبة حمراء قصيرة وبسراويل من الذهب ومشد فى وسطه وردى اللون وجناحاه واصلة إلى رجليه وذاوابتا شعر أسود إلى جناحه ولجناحيه ثلاثة ألوان كل واحد منها أزرق وأحمر وأصفر وعمامته بيضاء مرصعة بالذهب وله ذاؤابة منها من قفاه إلى رأس جناحه وزيق جبهته الحمراء مرصع بالذهب وصورته أبيض اللون يميل إلى الحمرة ورجل من رجليه على رقبة الأسد والأخرى على ذنبه(٣)، والله أعلم بصحته.

(١) مما لا شك فيه أن هذه الصفات لم يأت بها دليل يقينى فى الكتاب والسنة إلا القليل وما هى إلا اجتهادات واحتمالات من كتاب عجائب المخلوقات يحيى بن زكريا القزوينى عام ٦٠٠ – ٦٨٢هـ..

(٢) قال تعالى: ﴿ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانيه﴾ هذا يوم القيامة أما فى الحياة الدنيا فحمله عرش الرحمن أربعة فقد ورد بسند صحيح عن رسول الله ﷺ.

(٣) روى أبو داود عن جابر عبد الله (رضى الله عنها) أن رسول الله ﷺ (أذن لى أن أحدث عن أحد حملة العرش ما بين شحمة أذنه وعاتقه مسيرة سبعمائة عام).

ورواه ابن أبى حاتم وقال(تخفق الطير) قال محقق مشكاة المصابيح إسناده صحيح ١٢١/٣ انظر تخريج الشيخ ناصر الدين الألبانى له فى الأحاديث الصحيحة ٧٢/١.

وروى الطبرانى فى معجمه الأوسط باسناد صحيح عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ (أذن لى أن أحدث أحد حملة العرش رجلاه فى الأرض السفلى وعلى قرنه العرش وبين شحمة أذنى وعاتقه خفقان الطير سبعمائة عام يقول (أى الملك) سبحانك حيث أمنت)

(وأما البقر) فهو كبقر الدنيا إلا أنه أزرق اللون تميل إلى الغبرة شيئاً يسيراً وظهره أسود ومن بين قرنيه إلى إحدى أذنيه نقطة سوداء ورقبته من بين يديه وهو الزور إلى تحت حنكه أسود من أسفل لا كل رقبته، ويد من يديه مطوية والأخرى مستقيمة كالذى يريد النهوض بعدما اعتدل وقرناه أخضران فى غاية الطول والحسن وذنبه طويل معكوف ثلاث طيات فوق ظهره ونازل من فوق ظهره إلى طرفه بين فخذيه ويده المستقيمة فوق رقبة الأسد لكن ما هى واصلة إلى رقبته ورجلاه فوق ظهر النسر لكن مرتفعة عنه لا ملاصقة، والله أعلم بصحته .

(وأما النسر) فهو لا أحمر اللون ولا أسود اللون لكنه أسود يميل إلى الحمرة شيئاً يسيراً ورؤوس أجنحته من الذهب وصدره أيضاً ومنقاره أيضاً أزرق . والله أعلم بصحته .

(وأما الأسد) فهو أصفر اللون يميل إلى الحمرة شيئاً يسيرا وفاه مفتوح وخشمه عند منقار النسر، والنسر والأسد وقوفهما على غاية الوقوف وغاية الاعتدال ، والله أعلم بصحته .

صور الملك والملائكة

صورة الملك الذى يقوم صفاً والملائكة صفا ويسمى الروح[1] عظيم جداً ما يعلم كبر بدنه إلا الذى خلقه ، وهو أيض اللون يميل إلى الحمرة وملبوسه أحمر وفوق الأحمر نمتانة وتاج وردى وخارج يديه منها وسرواله أخضر وليس لرجليه نعل بل حاف وله جناحان إلى أصل ساقه أطرافهما وكل واحد منهما به من الألوان أحمر وأصفر وأخضر وردى وعلى رأسه عمامة عظيمة بيضاء مرصعة بالذهب وبوسط العمامة من أعلا كتابه بالسواد ليس يعرفها إلا الذى صورها وله أيضاً غرزة نم قفاه وله قصيبتا شعر أسود كالحبر وفى أطراف أجنحته نقص شيئاً عنها وزيق نمتانته من الذهب وبرأس كل قصيبة من تحت أذانه كالعين مكتوبة من الذهب وله عينان وجناحان سود تبارك وتعالى من خلقها وهو أعل بذلك .

(جبرائيل)[2] صلوات الله عليه أبيض الوجه يميل إلى الحمرة بشئ يسير وله قصيبتان إلى أطراف أجنحته من كل جانب واحدة وهو ليس له نعال برجليه وملبوسه لا يوصف من كثرة ألوانه وحسن صنعته وعلى رأسه عمامة بيضاء كما للملك الذى يقوم صفاً ، ولها من الوجه طرف ومن القفا طرف وعينان وجناحان كما للملك الذى يقوم صفاً ، تبارك أحسن الخالقين

---

(١) وقال تعالى : ﴿يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صوابا ذلك اليوم الحق فمن اتخذ إلى ربه مآبا﴾

(٢) وجبريل وميكائيل وإسرافيل هم الذين كان يذكرهم الرسول ص فى دعائه كلما استيقظ من الليل قائلا (اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدنى لما اختلف فيه من الحق بإذنك تهدى من تشاء إلى صراط مستقيم)

وما أحسن خلقته(١) ، والله أعلم بذلك .

(ميكائيل) صلوات الله عليه ولونه كلون جبرائيل ملبوسة أحمر وفوق الأحمر أزرق ونمانته منقشة بنقش كالتاج وردى وهو متكئ، وجهه على كتفه الأيسر وعيناه وجناحاه ذوائبه كما للملك الذى يقوم صفاً وعمامته كعمامته لكن غرزته من قبل وجهه والظاهر من أجنحته أخضر ووردى وأبيض وأحمر والخفى لا يعلمه إلا الله ، وعلى كتفه الأيمن تحت صليف أنه بأصل قصيبته عين مكتوبة ومنحدرة على صدره إلى إبطه الأيسر بالذهب ، والله أعلم بذلك.

(عزرائيل)(٢) صلوات الله عليه لونه أبيض لكن يضرب إلى السمرة شيئاً يسيراً وملبوسه وردى مخطط بأحمر وفوق هذا الملبوس نمتانة خضراء تميل للدكونة شيئاً وشد وسطه أحمر وعمامته كما للملك الذى

---

(١) قال تعالى : ﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ ﴿٩٨﴾ ﴾ [البقرة]

وجبريل هو الروح الأمين المكور فى قوله تعالى : ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ ﴾ [الشعراء]. وهو الروح المعنى فى قوله تعالى : ﴿ تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ ﴾ [القدر].

وهو الروح الذى أرسله إلى مريم: ﴿ فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ ﴾[مريم]

(٢) ورد فى الأثر أن اسم ملك الموت عزرايل ولكن لم يثبت ذلك بسند صحيح لا فى كتاب ولا فى سنه فما ورد فى اسمه أنه ملك الموت فقط فنقف على ما ثبت عن رسول الله ص فى ذلك . انظر البداية والنهاية ١/٥٠.

يقوم صفاً لكن أصفر شيئاً يسيراً سرواله أزرق وأجنحته جناحان على ما رأينا فى الكتاب وألوانها أحمر وأصفر وأزرق وأبيض وله قصيبتان شعر أسود اليمنى نازلة على كتفه الأيمن وخارجة من خارج جناحه إلى طرفه باعوجاج والأخرى على الأيسر من داخل جناحه تقصر شيئاً عنه وبيده رمح برأسه خمس أسنة وهو جالس به كجلوس القواس الذى يرمى النشاب، هون الله علينا وعلى أمة سيدنا محمد جميعاً غصص الموت، والله أعلم.

(ملائكة السماء الدنيا)(١) على صورة البقر ألوانها أسود وأبيض وقرونه زرق وطرف يله أسود وجميع محاركه سود والباقى أبيض والله أعلم.

(ملائكة السماء الثانية) على صورة العقاب أسود اللون ليس بحالك السواد ورجلاه ومنقاره زرق ورؤوس أجنحته ذهب والله أعلم .

(ملائكة السماء الثالثة) على صورة النسر وردى اللون أطراف ريشه سود لكن ورديته تميل إلى السواد يسيراً صدره وصدر أجنحته ذهب منقط ريشها بسواد ومقاره ورجلاه زرق ، والله أعلم بذلك .

(١) قد ورد فى الكتب الصحاح أن منازل الملائكة عموما ومساكنها فى السماء .
قال تعالى : ﴿ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ وَالْمَلائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي الأَرْضِ أَلا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥﴾ ﴾ [الشورى]
وقد وصفهم الله تعالى بأنهم عنده : ﴿ فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لا يَسْأَمُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ [فصلت]
وينزلون إلى الأرض بأمر الله لتنفيذ مهمات نيطت بهم ووكلت إليهم قال تعالى :﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلاَّ بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾ ﴾ [مريم]

(ملائكة السماء الرابعة) على صورة الخيل زرق الألوان وصفتها مثل الفرس الذى أراد النهوض فرفع يده ووضع الأخرى فى الأرض ، والله أعلم بذلك.

(ملائكة السماء الخامسة) على صورة الحور العين[1] ملبوسها جميع الألوان الحسنة ووجوهها بيض وحمر ولها عينان وجناحان وقصيبتان

(١) الملائكة لا يجوز وصفهم بالذكورة ولا الأنوثة فمن أسباب ضلال بنى آدم حديثهم عن عوالم الغيب أن بعضهم يحاول اخضاع هذه العوالم لمقاييسه البشرية الدنيوية فنرى واحداً من هؤلاء يعجب فى مقال له فى صحيفة سيارة من أن جبريل كان يأتى الرسول ص بعد ثوان من توجيه سؤال إلى الرسول ص يحتاج إلى جواب من الله فكيف يأتى به السرعة الخارقة والضوء يحتاج إلى ملايين السنوات الضوئية ليصل إلى بعض نجوم السماء .

وما درى هذا المسكين أن مثله كمثل بعوضة تحاول أن تقيس سرعة الطائر بمقياسها الخاص لو تفكر فى الأمر لعلم أن عالم الملائكة له مقاييس تختلف تماما عن مقاييسنا نحن البشر .

ولقد ضل فى هذا المجال مشركو العرب الذين كانوا يزعمون أن الملائكة إناثاً .

واختلطت هذه المقولة المجانبة للحقيقة عندهم بخرافة أعظم وأكبر إذ زعموا أن هؤلاء الإناث بنات الله .

وناقش القرآن فى هاتين القضيتين فبين أنهم فيما ذهبوا إليه لم يعتمدوا على دليل صحيح وأن هذا القول قول متهافت ومن عجب أنهم ينسبون لله البنات وهم يكرهون البنات وعندما يبشر أحدهم بأنه رزق بنتا يظل وجهه مسوداً وهو كظيم وقد يتوارى من الناس خجلا من سوء ما بشر به وقد يتعدى هذا المأفون طوره فيدس هذه المولودة فى التراب ومع ذلك كله ينسبون لله الولد ويزعمون أنهم إناث وهكذا تنشأ الخرافة وتتفرع فى عقول الذين لا يتصلون بالنور الإلهى .

قال تعالى : ﴿ فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ (١٤٩) أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ (١٥٠) أَلَا إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ (١٥١) وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (١٥٢) أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى

كالحبر الأسود ونعالها سود وأجنحتها كل جناح ثلاثة ألوان أحمر وأزرق وذهبى قصيبتاتها طوال إلى الرجلين بل أزيد والله أعلم، وعلى رؤوسها معاصب بيض مرصعة بالذهب سبحان الخلاق على ما خلق وهو الذى خلقهم وهو أعلم بهم .

(ملائكة السماء السادسة) على صورة الولدان ملبوسهم أحمر وردي اللون وتحت ذلك نوع آخر أزرق وقصيبته واحدة وعمامته بيضاء وله جناحان لونهما أخضر ورؤسهما ذهب ومحازم ونعال ، فالمنشد وردى اللون يميل إلى السواد شيئاً يسيراً والنعل أسود والله أعلم بذلك.

(ملائكة السماء السابعة) على صورة بنى آدم ملبوسهم أصفر وفوق الأصفر كالنمتانة وردى تميل إلى الحمرة وأزرق وعمامة بيضاء والله أعلم بذلك وأجنحتها على أكتافها سبحان الذى خلقهم ما أعظم سلطانه وأوضح برهانه وشداد أوساطها أزرق .

الْبَنِينَ ﴿١٥٣﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٤﴾ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾ أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُبِينٌ ﴿١٥٦﴾ ﴾ [الصافات]

ورد عن شيخ الإسلام ابن تيمية أنه قال (من قال أن الملائكة إناثا فهو كافر ومن قال أن الملائكة ذكوراً فهو زنديق لأنه تقول على الله بغير علم) ومن هنا يجب أن يحذر المسلم فى أن يتقول فى مثل هذه الأمور بلا علم ، قال تعالى : ﴿ وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَٰنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ [الزخرف] انظر عالم الملائكة الأبرار للأشقر (١٣ - ١٤)

(الحفظة) وهم الكرام الكاتبون[1] كل واحد منهم بيده دفتر وبالأخرى قلم وهو على كتف الإنسان وجوههم بيض تميل إلى الحمرة وملبوسهم أزرق ولكل واحد منهم قصيبة شهر من ورائه لا غير وعمامة بيضاء ونعلان برجليها سود وأجنحتها كل جناح لونان أعلى الجناح ذهب مخطط بشئ من السواد شيئاً يسيراً وباقى الجناح أحمر وخطط بيض فى وسطه وكل منهم واضع رأس قلمه بدفتره ينتظر الحسنات والسيئات ، والله أعلم.

(هاروت وماروت)[2] فى بابل صغر الأجساد عراة كل منهما، بنيان إلى ركبته أزرق اللون مشدودان بالحديد من أصول ساقيهما رؤوسهما إلى تحت وأرجلهما إلى فوق ، والله أعلم .

---

(١) قال تعالى : ﴿ إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ (١٧) مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ (١٨) ﴾ [ق] والرقيب والقعيد هنا وصف للملائكة الذين يكتبون أعمال العباد .

(٢) ومن الملائكة ملكان سماهما الله تبارك وتعالى باسم (هاروت وماروت) قال تعالى : ﴿ وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (١٠٢) ﴾ [البقرة]

ويبدو من سياق الآية أن الله بعثها فتنة للناس فى فترة من الفترات وقد نسجت حولهما فى كتب التفسير أساطير كثيرة لم يثبت شئ منها فى الكتاب والسنة فيكتفى فى معرفة أمرهما بما دلت عليه الآية الكريمة ، انظر عالم الملائكة الأبرار للأشقر (١٨) .

هل الميت يسمع ما يقال(١)

روى مسلم عن أنس بن مالك : أن عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) حدث عن أهل بدر فقال أن رسول الله ﷺ كان يرينا مصارع أهل بدر بالأمس. يقول : "هذا مصرع فلان غداً إن شاء الله" قال : فقال عمر والذى بعثه بالحق نبياً ما أخطأوا الحدود التى حد رسول الله ﷺ . قال : فجعلوا فى بئر بعضهم على بعض فانطلق رسول الله ﷺ حتى انتهى إليهم . فقال: "يا فلان بن فلان، هل وجدتم ما وعدكم الله ورسوله حقا فإنى وجدت ما وعدنى ربى حقا ؟

فقال عمر : يا رسول الله ﷺ كيف تكلم أجسادا لا أرواح فيها ؟ قال : ما أنتم بأسمع لما أقول منهم، غير أنهم لا يستطيعون أن يردوا شيئا، وعنه أن رسول الله ﷺ ترك قتلى بدر ثلاثا . فقام عليهم فناداهم. فقال : "يا أبا جهل بن هشام. يا أمية بن خلف. يا عتبة بن ربيعة. يا شيبة بن ربيعة، أليس قد وجدتم ما وعدكم ربكم حقا فانى وجدت ما وعدنى ربى حقا، فسمع عمر قول النبى ﷺ . فقال : يا رسول الله كيف يسمعون : وأنى يجيبون ! وقد جيفوا ؟

قال والذى نفسى بيده، ما أنتم بأسمع لما أقول منهم . ولكنهم لا يقدرون أن يجيبوا ، ثم أمر بهم فسحبوا فألقوا فى قليب بدر . أهـ.

أعلم رحمك الله أن عائشة (رضى الله عنها) قد أنكرت هذا المعنى

---

(١) هذا الفصل والذى يليه إلى آخر الكتاب من كتاب التذكرة فى أحوال الموتى وأمور الآخرة للإمام القرطبى .

واستدلت بقوله تعالى : ﴿ فَإِنَّكَ لا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ وَلا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ (٥٢) ﴾ [الروم]

وقوله : ﴿ وَمَا يَسْتَوِي الأَحْيَاءُ وَلا الأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ (٢٢) ﴾ [فاطر]

ولا تعارض بينهما لأنه جائز أن يكونوا يسمعون فى وقت ما، أو فى حال ما فإن تخصيص العموم ممكن وصحيح أو وجد المخصص ، وقد وجد هنا بدليل ما ذكرناه وبقوله ﷺ : "إنه ليسمع قرع نعالهم . وقد ذكر ابن عبد البر فى كتاب التمهيد والاستذكار من حديث ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : "ما من أحد يمر بقبر أخيه المؤمن كان يعرفه فى الدنيا فيسلم عليه إلا عرفه ، ورد عليه السلام . صححه أبو محمد عبد الحق .

(ومعنى جيفوا : انتنوا)

تلقين الميت

شهادة الإخلاص فى لحده

ذكر أبو محمد عبد الحق يروى عن أبى أمامة الباهلى قال : قال رسول الله ﷺ إذا مات أحدكم فسويتم عليه التراب، فليقم أحدكم على رأس قبره ، ثم يقول يافلان ابن فلانة فإنه يسمع ولا يجيب. ثم ليقل : يا فلان ابن فلانه الثانية فإنه يستوى قاعداً ، ثم يقول : يا فلان ابن فلانه الثالثة فإنه يقول : أرشدنا رحمك الله ، ولكنكم لا تسمعون . فيقول : اذكر ما خرجت عليه من الدنيا : شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله، وأنك رضيت بالله ربا ، وبالإسلام دينا ، وبمحمد ﷺ نبياً ، وبالقرآن إماماً ، فإن منكرا ونكيراً يتأخر كل واحد منها، ويقول، انطلق بنا ما يقعدنا عنه هذا ، وقد لقن حجته، ويكون الله حجيجهما دونه فقال رجل : يا رسول الله فإن لم نعرف أمه ، قال : ينسبه إلى أمه حواء.

هكذا ذكره أبو محمد فى كتاب العاقبة لم يسنده إلى كتاب ولا إلى إمام ، وعادته فى كتبه نسبة ما يذكره من الحديث إلى الأئمة ، وهذا والله أعلم. نقله من إحياء علوم الدين للإمام أبى حامد فنقله كما وجد ولم يزد عليه. وهو حديث غريب ، خرجه الثقفى فى الأربعين

أنبأنا الشيخ الحسن الحاج الراوية أبو محمد عبد الوهاب بن ظافر بن على من فتوح بن أبى الحسن القرشى -عرف بابن رواح-بمسجده بثغر الأسكندرية، والشيخ الفقيه الإمام مفتى الأنام أبو الحسن على بن هبة الله الشافعى بمنية ابن خصيب، على ظهر النيل بها قالا جميعا: حدثنا الشيخ الإمام الحافظ أبو ظاهر أحمد محمد بن أحمد بن محمد السلفى

الأصبهانى فى قالا: أخبرنا الرئيس أبو عبد الله القاسم بن الفضل بن أحمد بن محمود الثقفى بأصبهان، أخبرنا أبو على الحسين بن عبد الرحمن بن محمد بن عبدان التاجر بنيسابور، حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب الأصم، حدثنا أبو الدرداء هاشم بن يعلى الأنصارى، حدثنا عتبة بن السكن الفزارى الحمصى، عن أبى زكريا، عن حماد بن زيد، وعن سعيد الأزدى قال: دخلت على أبى أمامة الباهلى وهو فى النزع فقال لى: يا سعيد إذا أنا مت فاصنعوا بى كما أمرنا رسول الله ﷺ أن نصنع بموتانا.

فقال : إذا مات الرجل منكم فدفنتموه فليقم أحدكم عند رأسه فليقل : يا فلان ابن فلانة فإنه سيسمع فليقل يا فلان ابن فلانة فإنه يستوى قاعداً ، فليقل يا فلان ابن فلانة فإنه سيقول : أرشدنا يرحمك الله ، فليقل : أذكر ما خرجت عليه من الدنيا شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله باعث من فى القبور، فإن منكرا ونكيرا عند ذلك يأخذ كل واحد منهما بيد صاحبه ويقول : ما نصنع عند رجل لقن حجته فيكون الله حجيجهما دونه، حديث أبى أمامة فى النزع غريب من حديث حماد بن يزيد .

قال أبو محمد عبد الحق : وقال شيبة بن أبى شيبة : أوصتنى أمى عند موتها فقالت لى : يا بنى إذا دفنتنى فقم عند قبرى ، وقل يا أم شيبة ، قولى : لا إله إلا الله . ثم انصرف، فلما كان من الليل رأيتها فى المنام فقالت لى : يا بنى لقد كدت أن أهلك لولا أن تداركنى لا إله إلا الله ، فلقد حفظتنى فى وصيتى يا بنى .

قال القرطبى : ينبغى أن يرشد الميت فى قبره حيث يوضع فيه إلى جواب السؤال وقد جرى العمل عندنا بقرطبة كذلك .

الملائكة تكلم الموتى

روى معمرو بن دينار عن سعد بن إبراهيم عن عطاء ابن يسار أن رسول الله ﷺ قال لعمر : كيف بك ياعمر إذا جاءك منكر ونكير إذا مت وانطلق بك قومك وقاسوا ثلاثة أذرع وشبرا فى ذراع وشبر ثم غسلوك وكفنوك وحنطوك ، ثم احتملوك فوضعوك فيه ، ثم أهالوا عليك التراب ، فإذا انصرفوا عنك أتاك فتانا القبر : منكر ونكير أصواتها كالرعد القاصف وأبصارهما كالبرق الخاطف يجران شعورهما معها مرزبة من حديد لو اجتمع عليها أهل الأرض لم يقيلوها ،

فقال عمر : يا رسول الله إن فرقنا فحق لنا أن نفرق أنبعث على ما نحن عليه ، قال نعم ، قال : إذا اكفيكهما .

وروى نقلة الأخبار عن ابن عباس فى خبر الإسراء: أن النبى ﷺ قال : قلت : يا جبريل وماذاك ؟ قال منكر ونكير يأتيان كل إنسان من البشر حين يوضع فى قبره وحيدا فقلت: يا جبريل صفهما لى.

قال: نعم من غير أن أذكرلك طولهما وعرضهما ذكر ذلك منهما أفظع من ذلك غير أن أصواتهما كالرعد القاصف، وأعينهما كالبرق الخاطف، وأنيابهما كالصياصى، يخرج لهب النار من أفواهمها، ومناظرهما ومسامعهما، يكسحان الأرض بأشعارهما، ويحفران الأرض بأظفارهما مع كل واحد منها عمود من حديد لو اجتمع عليه من فى الأرض ما حركوه يأتيان الإنسان إذا وضع فى قبره وترك وحيدا يسلكان روحه فى جسده بإذن الله تعالى ثم يقعدانه فى قبره فينتهرانه انتهاراً تتقعقع منه عظامه وتزول أعضاؤه من مفاصله فيخر مغشيا عليه، ثم

يقعدانه فيقولان له : إنك فى البرزخ فاعقل حالك، واعرف مكانك، وينتهرانه ثانية ويقولان له : ياهذا ذهبت عنك الدنيا وأفضيت إلى معادك فأخبرنا من ربك ؟ وما دينك ؟ ومن نبيك ؟

فإن كان مؤمنا بالله لقنه حجته فيقول : الله ربى ونبيى محمد، ودينى الإسلام فينتهرانه عند ذلك انتهارا يرى أن أوصاله تفرقت وعروقه قد تقطعت ويقولان له: يا هذا انظر ما تقول فيثبته الله بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ويلقنه الأمان ويدرأ عنه الفزع، فلا يخافهما، فإذا فعل ذلك بعبده المؤمن استأنس إليهما وأقبل عليهما بالخصومة يخاصمها.

ويقول: تهددانى كيما أشك فى ربى وتريدان أن اتخذ غيره إلها وأنا أشهد أن لا إله إلا الله ، وهو ربى وربكما ورب كل شئ ونبيى محمد ﷺ ودينى الإسلام، ثم ينتهرانه ويسألانه عن ذلك فيقول ربى الله فاطر السموات والأرض، إياه كنت أعبد ولم أشرك به شيئاً ولم اتخذ غيره أحداً ربا ، افتريدان أن تردانى عن معرفة ربى وعبادتى إياه ؟ نعم هو الله الذى لا إله إلا هو . قال: فإذا قال وذلك ثلاث مرات مجاوبة لهما تواضعا له حتى يستأنس إليهما أنس ما كان فى الدنيا إلى أهل وده ويضحكان إليه .

ويقولان له : صدقت وبررت أقر الله عينيك وثبتك ، أبشر بالجنة وبكرامة الله ثم يدفع عنه قبره هكذا وهكذا فيتسع عليه مد البصر ويفتحان له بابا إلى الجنة فيدخل عليه من روح الجنة وطيب ريحها ونضرتها فى قبره ما يتعرف به كرامة الله تعالى، فإذا رأى ذلك استيقن بالفوز فحمد الله، ثم يفرشان له فراشا من إستبرق الجنة ويضعان له مصباحاً من نور عند رأسه ومصباحاً من نور عند رجليه يزهران فى قبره ، ثم تدخل عليه ريح

أخرى ، فحين يشمها يغشاه النعاس فينام فيقولان له : إرقد رقدة العروس قرير العين لا خوف عليك ولا حزن ، ثم يمثلان عمله الصالح فى أحسن ما يرى من صورة ، وأطيب ريح فيكون عند رأسه ،

ويقولان : هذا عملك وكلامك الطيب قد مثله الله لك فى أحسن ما ترى من صورة وأطيب ريح ليؤنسك فى قبرك فلا تكون وحيداً ويدرأ معك هوام الأرض وكل دابة وكل أذى فلا يخذلك فى قبرك ولا فى شئ من مواطن القيامة حتى تدخل الجنة برحمة الله تعالى، فنم سعيدا طوبى لك وحسن مآب، ثم يسلمان عليه ويطيران عنه، وذكر الحديث وما يلقى الكافرين من الهوان الشديد والعذاب الأليم بما تقدم.

قوله فتانا القبر منكر ونكير :

إنما سميا فتّانا القبر لأن فى سؤالهما انتهاراً، وفى خلقهما صعوبة: ألا ترى أنهما سميا منكراً ونكيرا ؟ فإنما سميا بذلك لأن خلقهما لا يشبه خلق الآدميين ، ولا خلق الملائكة ، ولا خلق الطير، ولا خلق البهائم، ولا خلق الهوام ، بل هما خلق بديع ليس فى خلقتهما أنس للناظرين إليهما، جعلهما الله تكرمة للمؤمن يثبته وينصره وهتكا لستر المنافق فى البرزخ من قبل أن يبعث حتى يحل عليه العذاب قاله أبو عبد الله الترمذى وإن قال قائل: كيف يخاطب الملكان جميع الموتى وهم مختلفوا الأماكن ، متباعدوا القبور فى الوقت الواحد .

والجسم الواحد لا يكون فى المكانين فى الوقت الواحد وكيف تنقلب الأعمال أشخاصاً وهى فى نفسها أعراض ؟

فالجواب عن الأولى : ما جرى ذكره فى هذا الخبر من عظم جثتيهما فيخاطبان الخلق الكثير الذين فى الجهة الواحدة منهم فى المرة الواحدة : مخاطبة واحدة ، يخيل لكل واحد أنه المخاطب هو دون سواه ، ويكون الله يمنع سمعه من مخاطبة الموتى لها ويسمع هو مخاطبتهما كما لو كانوا معه فى قبر واحد .

والجواب الثانى : أن الله يخلق من ثواب الأعمال أشخاصا حسنة أو قبيحة ، مثل ماصح فى الحديث : أنه يؤتى بالموت كأنه كبش أملح فيوقف على الصراط فيذبح.

روى مسلم عن البراء بن عازب عن النبى ﷺ قال: يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة قال: نزلت فى عذاب القبر، يقال له من ربك ؟ فيقول : الله ربى ، ونبيى محمد ، فذلك قوله يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة .

وفى رواية أنه قول البراء ، ولم يذكر النبى ﷺ : وهذا الطريق وإن كان موقوفا فهو لا يقال من جهة الرأى فهو محمول على أن النبى ﷺ قاله كما فى الرواية الأولى ، وكما خرجه النسائى وابن ماجة فى سننهما والبخارى فى صحيحه ، وهذا لفظ البخارى .

حدثنا جعفر بن عمر قال : حدثنا شعبة عن علقمة بن مرثد ، عن سعد بن عبيدة عن البراء بن عازب عن النبى ﷺ قال : "إذا قعد العبد المؤمن فى قبره أتى ، ثم يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، فذلك قوله :

﴿ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ (٢٧) ﴾ [إبراهيم]

خرجه أبو داود أيضا فى سننه ، فقال فيه عن البراء بن عازب أن رسول الله ﷺ قال : إن المسلم إذا سئل فى القبر فشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فذلك قوله :

﴿ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ (٢٧) ﴾ [إبراهيم]

وقد روى هذا الخبر أبو هريرة وابن مسعود وابن عباس وأبو سعيد الخدرى ، قال أبو سعيد الخدرى : كنا فى جنازة مع النبى ﷺ فقال : يا أيها الناس إن هذه الأمة تبتلى فى قبورها ، فإذا الإنسان دفن وتفرق عنه أصحابه جاءه ملك الموت بيده مطراق فأقعده فقال : ما تقول فى هذا الرجل ؟ فإن كان مؤمنا قال : أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، فيقول له : صدقت فيفتح له باب إلى النار، فيقول له هذا منزلك لو كفرت بربك، وأما الكافر والمنافق فيقول ما تقول فى هذا الرجل ؟ فيقول : لا أدرى. فيقال له لا دريت ولا تليت ، ثم يفتح له باب إلى الجنة ، فيقال له هذا منزلك لو آمنت بربك ، فأما إذ كفرت فإن الله أبدلك به هذا ، ثم يفتح باب إلى النار ، ثم يقمعه الملك بالمطراق قمعة يسمعه خلق الله كلهم إلا الثقلين .

قال بعض أصحاب رسول الله ﷺ : ما أحد يقوم على أنه ملك بيده مطراق إلا هيل عند ذلك ، فقال رسول الله ﷺ :

﴿ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ (٢٧) ﴾ [إبراهيم]

قلت :

هال أى سقط وخاف، والحكمة فى كشف النار التى أعدها الله للمؤمن لو كفرتم عرض منزله فى الجنة عليه زيادة فرحة وسروره لنجاته من النار بفضل إيمانه بالله وبفضل كرم الله ورحمته فيتضاعف سرور المؤمن بذلك أما الكافر والمنافق فعندما يرى مقعده فى الجنة الذى أعده الله له لو آمن بالله ثم عرض مقعده فى النار فإن ذلك يسبب له ألما وحسرة وحزناً مضاعفا لمشاهدته ما حرم منه من النعيم بسبب كفره .

روى ابن المبارك قال: أخبرنا حيوة قال: أخبرنى أبو صخر عن محمد بن كعب القرطبى قال: إذا استنقعت نفس العبد المؤمن جاءه ملك الموت فقال : السلام عليك يا ولى الله، والله يقرئك السلام ثم نزع بهذه الآية :

﴿ الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٣٢) ﴾ [النحل]

وقال ابن مسعود : إذا جاء ملك الموت ليقبض روح المؤمن قال : ربك يقرئك السلام وعن البراء بن عازب فى قوله :

﴿ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا (٤٤) ﴾ [الأحزاب]

فيسلم ملك الموت على المؤمن عند قبض روحه ، لا يقبض روحه حتى يسلم عليه .

وقال مجاهد : إن المؤمن ليبشر بصلاح ولده من بعده لتقر عينه .

وروى ابن ماجة عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال: تحضر الملائكة فإذا كان الرجل صالحاً قالوا : اخرجى أيتها النفس الطيبة كانت فى الجسد الطيب. أخرجى حميدة وأبشرى بروح وريحان ورب راض غير غضبان ، فلا يزال يقال له ذلك حتى تخرج، ثم يعرج بها إلى السماء ، فيفتح لها فيقال : من هذا ؟ فيقولون، فلان بن فلان .

فيقال : مرحبا بالنفس الطيبة كانت فى الجسد الطيب . ادخلى حميدة ، وأبشرى بروح وريحان ورب راض غير غضبان ، فلان يزال يقال لها ذلك حتى تنتهى إلى السماء التى فيها الله تعالى، فإذا كان الرجل السوء قال : اخرجى أيتها النفس الخبيثة كانت فى الجسد الخبيث، أخرجى ذميمة وأبشرى بجهنم وغساق وآخر من شكله أزواج ، فلا يزال يقال لها ذلك حتى تخرج، ثم يعرج بها إلى السماء فيتفتح لها .

فيقال : من هذا ؟ فيقال : فلان . فيقال : لا مرحبا بالنفس الخبيثة كانت فى الجسد الخبيث ارجعى ذميمة فإنها لا تفتح لك أبواب السماء ، فترسل من السماء ثم تصير إلى القبر " خرجه ابن أبى شيبة .

وخرج البزار فى مسنده من حديث أبى هريرة (رضى الله عنه) عن النبى ﷺ قال : إن المؤمن إذا احتضر أتته الملائكة بحريرة فيها مسك وضبائر ريحان فتسل روحه كما تسل الشعرة من العجين . ويقال :

﴿ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ ﴾ [الفجر]

مرضيا عنك إلى روح الله وكرامته ، فإذا خرجت روحه وضعت على ذلك المسك وريحان وطويت عليها الحريرة وذهب بها إلى عليين وإن الكافر إذا احتضر آتته الملائكة بمسح فيه جمرة ، فتنزع روحه انتزاعا شديدا ويقال : أيتها النفس الخبيثة اخرجى ساقطة مسخوطا عليك إلى هوان الله وعذابه ، فإذا خرجت روحه وضعت على تلك الجمرة ، ويطوى عليها المسح ويذهب بها إلى سجين .

وذكر أبو عمر بن عبد البر فى كتاب الاستيعاب من حديث أبى موسى الأشعرى عن النبى ﷺ قال : الميت يعذب ببكاء الحى عليه ، إذا قالت النائحة واعضداه وا ناصراه وا كسياه جبذ الميت وقيل له . أنت عضدها ؟ أنت ناصرها ؟ أنت كاسيها ؟ أهـ.

قلت : أى قالت له الملائكة ذلك .

الملك رومان ومنكر ونكير
يكلمون الميت

ذكر أبو حامد فى كتاب كشف علم الآخرة وقد روى عن ابن مسعود (رضى الله عنه) أنه قال : يا رسول الله ، ما أول ما يلقى الميت إذا دخل قبره ؟ قال : يا ابن مسعود ما سألنى عنه أحد إلا أنت . فأول ما يناديه ملك اسمه رومان يجوس خلال المقابر فيقول : يا عبد الله أكتب عملك . فيقول. ليس معى داوة ولا قرطاس فيقول : هيهات كفنك قرطاسك ، ومدادك ريقك ، وقلمك اصبعك فيقطع له قطعة من كفنه ، ثم يجعل العبد يكتب وإن كان غير كاتب فى الدنيا فيذكر حينئذ حسناته وسيئاته كيوم واحد ، ثم يطوى الملك القطعة ويعلقها فى عنقه .

ثم قال رسول الله ﷺ :

﴿ وَكُلَّ إِنــــسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا (١٣) ﴾ [الإسراء]

أى عمله فإذا فرغ من ذلك دخل عليه فتانا القبر، وهما ملكان أسودان، يخرقان الأرض بأنيابهما لهما شعور مسدولة يجرانها على الأرض وكلامهما كالرعد القاصف، وأعينها كالبرق الخاطف، ونفسهما كالريح العاصف، بيد كل واحد منها مقمع من حديد لو اجتمع عليه الثقلان ما رفعاه، لو ضرب به أعظم جبل لجعله دكا، فإذا أبصرتهما النفس ارتعدت، ولت هاربه، فتدخل فى منخر الميت فيحيا الميت من الصدر ويكون كهيأته عند الغرغرة، ولا يقدر على حراك، غير أنه يسمع وينظر الحديث.

العمل يكلم الميت فى القبر

أخرج أبو داود الطيالسى وعبد بن حميد فى مسنديهما وعلى بن معبد فى كتاب الطاعة والمعصية ، وهناد السرى فى زهده . وأحمد بن حنبل فى مسنده وغيرهم وهو حديث صحيح له طرق كثيرة تهمم بتخريج طرقه على من معبد ، فأما أبو داود الطيالسى فقال حدثنا أبو عوانة عن الأعمش ، وقال هناد وأحمد : حدثنا أبو معاوية الأعمش عن المنهال بن عمر وعن زاذان عن البراء ابن عازب - وحديث أبى عوانه أتمهما، قال البراء: خرجنا مع رسول الله ﷺ فى جنازة رجل من الأنصار فانتهينا إلى القبر، ولما يلحد فجلس رسول الله ﷺ وجلسنا حوله، كأنما على رؤوسنا الطير، فجعل يرفع بصره وينظر إلى السماء ويخفض بصره وينظر إلى الأرض، ثم قال : أعوذ بالله من عذاب القبر ، قالها مراراً ثم قال : إن العبد المؤمن إذا كان فى إقبال من من الآخرة وانقطاع من الدنيا، جاءه ملك ويمثل عمله له فى صورة رجل حسن الوجه طيب الرائحة حسن الثياب.

فيقول أبشر بما أعد الله لك أبشر برضوان من الله وجنات فيها نعيم مقيم ، فيقول : بشرك الله بخير من أنت فوجهك الوجه الذى جاء بالخير ، فيقول هذا يومك الذى كنت توعز ، أو الأمر الذى كنت توعد. أنا عملك الصالح فوالله ما علمتك إلا كنت سريعا فى طاعة الله بطيئا عن معصية الله فجزاك الله خيراً ... فإن كان فاجراً ... ويمثل له عمله فى صورة رجل قبيح الوجه منتن الريح قبيح الثياب فيقول : أبشر بعذاب الله وسخطه ، فيقول من أنت فوجهك الذى جاء بالشر ، فيقول أنا عملك الخبيث فوالله ما علمتك إلا كنت بطيئا عن طاعة الله سريعاً إلى معصية الله .... الحديث .

الله تعالى يكلم الشهداء

فى صحيح مسلم عن مسروق قال : سألنا عبد الله بن مسعود عن هذه الآية :

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (١٦٩) ﴾ [آل عمران]

فقال : أرواحهم فى جوف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش تسرح من الجنة حيث شاءت ، ثم تأوى إلى تلك القناديل فاطلع إليهم ربهم اطلاعة. فقال : هل تشتهون شيئاً ؟ قالوا : أى شئ نشتهى ونحن نسرح فى الجنة حيث نشاء ، ففعل لهم ذلك ثلاث مرات ، فلما رأوا أنهم لن يتركوا من أن يسألوا قالوا : يارب نريد أن ترد أرواحنا فى أجسادنا حتى نقتل فى سبيلك مرة أخرى فلما رأى أن ليس لهم حاجة تركوا .

الأموات يكلم بعضهم بعضا

ذكر أبو نعيم فى الحلية عن وهب بن منبه : إن الله فى السماء السابعة داراً يقال لها البيضاء تجتمع فيها أرواح المؤمنين فإذا مات الميت من أهل الدنيا ، تلقته الأرواح فيسألونه عن أخبار الدنيا كما يسائل الغائب أهله إذا قدم إليهم .

وروى ابن المبارك عن أبى أيوب الأنصارى (رضى الله عنه) قال : إذا قبضت نفس المؤمن ستلقاها أهل الرحمة من عباد الله تعالى كما يتلقون البشير فى الدنيا، فيقبلون عليه يسألونه فيقول بعضهم لبعض: انظروا أخاكم حتى يستريح ، فإنه كان فى كرب شديد.

قال : فيقبلون عليه فيسألونه : مافعل فلان ؟ ما فعلت فلانه ؟ هل تزوجت ؟ فإذا سألوه عن الرجل قد مات قبله . فيقول: إنه هلك فيقولون : إنا لله وإنا إليه راجعون : ذُهب به إلى الهاوية فبئست الأم وبئست المربية قال : فتعرض عليكم أعماله فإن رأوا حسنا فرحوا واستبشروا وقالوا : اللهم هذه نعمتك على عبدك فأتمها وإن رأوا شراً قالوا : اللهم راجع بعبدك.

القبر يكلم الموتى

روى الترمذى عن أبى سعيد الخدرى (رضى الله عنه) قال : دخل رسول الله ﷺ مصلاه فرأى ناسا يكشرون . فقال " أما أنكم لو أكثرتم من ذكر هازم اللذات لشغلكم عما أرى - يعنى الموت - فأكثروا ذكر هازم اللذات : الموت . فإنه لم يأت على القبر يوم إلا تكلم فيه . فيقول : أنا بيت الغربة ، وأنا بيت الوحدة ، وأنا بيت التراب ، وأنا بيت الدود ، فإذا دفن العبد المؤمن . قال له القبر مرحبا وأهلاً أما إن كنت لأحب من يمشى على ظهرى إلى، فإذا لقيتك اليوم وصرت إلى فسترى صنيعى بك فيتسع له مد بصره، ويفتح له باب إلى الجنة. وإذا دفن العبد الفاجر أو الكافر قال له القبر: لا مرحبا ولا أهلاً . أما إن كنت لأبغض من يمشى على ظهرى إلىّ.

فإذا وليتك اليوم وصرت إلى فسترى صنيعى بك ، قال : فيلتئم عليه حتى يلتقى وتختلف أضلاعه. قال : قال رسول الله ﷺ بأصابعه فأدخل بعضها فى جوف بعض. قال : وقيض الله له تسعين تنيناً أو تسعة وتسعين لو أن احداً منها نفخ فى الأرض ما أنبتت شيئاً ما بقيت الدنيا، فتنهشه حتى يفضى به إلى الحساب .

قال رسول الله ﷺ : إنما القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار . قال أبو عيسى الترمذى . هذا حديث غريب.

قلت الحديث الغريب هو الذى رواه صحابى واحد .

الشرح :

قلت هذا الحديث يتحدث عن أمر من أمور الغيب وفيه مسائل قد لا تدرك بالعقل ولكنها ليست من المستحيل العقلى فإن الرجلين يكونان نائمين متجاورين فيرى أحدهما أنه فى حديقة ينعم ويرى الأخر أنه فى مقبرة أو مزبلة وأنه يضرب ولا يشعر أحدهما بالآخر رغم أنهما متجاورين أو متلاصقين وإذا نظر أحد إليهما لا يرى حديقة ولا مقبرة ولا مزبلة ولا سياطاً ولا عصياً مع ذلك يحس كل منهما بأحاسيس مختلفة ينعم أو يعذب.

وقوله: لو أن واحداً منها نفخ فى الأرض ما أنبتت: قد علمنا فى العصر الحديث أن الاشعاع الذرى إذا تلوثت به الأرض فإنها لا تنبت لأجيال عديدة كما حدث فى قنبلتى هيروشيما ونجازاكى اللتين ألقيتا على اليابان فى الحرب العالمية، وهذه المسألة تقرب تلك المسألة الغيبة إلى العقول.

قوله : قال له القبر : إنه لا يستبعد شئ عن قدرة الله تعالى فإن الله تعالى قادر على أن ينطق كل شئ الأرض والسموات والقبور والأفخاذ والأرجل والأيادى والطيور والحيوانات كما نطق بذلك القرآن الكريم ، وكما نطقت به السنة المطهرة فى كثير من المواضع . انتهى من كلامنا .

وخرج هناد بن السرى قال : حدثنا حسن الجعفى، عن مالك بن

مغول عن عبد الله بن عبيد بن عمير قال : يجعل الله للقبر لساناً ينطق به فيقول . ابن آدم كيف نسيتنى ؟ أما علمت أنى بيت الدود، وبيت الوحدة ، وبيت الوحشة .

قال : وحدثنا وكيع، عن مالك بن مغول عن عبد الله بن عبيد بن عمير قال : إن القبر ليبكى ويقول فى بكائه ، أنا بيت الوحشة ، أنا بيت الوحدة ، أنا بيت الدودة، أهـ.

وذكر أبو عمر بن عبد البر ، وروى يحيى بن جابر الطائى ، عن ابن عائذ الأزدى عن غضيف بن الحارث قال أتيت بيت المقدس أنا وعبد الله بن عبيد بن عمير قال: فجلسنا إلى عبد الله بن عمرو بن العاص فسمعته يقول: إن القبر يكلم العبد إذا وضع فيه فيقول : يا ابن آدم ما غرك بى ؟ ألم تعلم أنى بيت الوحدة ؟ ألم تعلم أنى بيت الظلمة؟ ألم تعلم أنى بيت الحق ؟ يا ابن آدم ما غرك بى؟ لقد كنت تمشى حولى فداداً ، قال ابن عائذ : قلت لغضيف : ما النداد يا أبا إسرائيل ؟ قال كبعض مشيتك يا ابن أخى . قال غضيف : فقال صاحبى -وكان أكبر منى - بعبد الله بن عمرو : فإن كان مؤمنا فماذا له ؟ قال: يوسع له فى قبره ويجعل منزله ويفرج بروحه إلى السماء ، ذكره فى كتاب التمهيد .

وذكر ابن المبارك قال : أخبرنا داود بن نافذ قال : سمعت عبد الله بن عبيد بن عمير يقول : بلغنى أن الميت يقعد فى حفرته وهو يسمع وخط مشيعيه ولا يكلمه شئ أول من حفرته فتقول له : ويحك يا ابن آدم أليس قد خدرتنى وحذرت ضيقى وظلماتى . ونتنى وهولى ، هذا ما أعددت لك فما أعددت لى ؟

الوحظ والوخد : سرعة السير فى المشى .

وقال أحمد بن حرب تتعجب الأرض ممن يمهد مضجعه ، ويسوى فراشة للنوم . وتقول يا ابن آدم ألا تذكر طول رقادك فى جوفى، وما بينى وبينك شئ ؟

وروى عن الحسن البصرى أنه قال : كنت خلف جنازة فاتبعها ، حتى وصلوا بها إلى حفرتها فنادت إمرأة فقالت : يا أهل القبور لو عرفتم من نُقل إليكم لأعززتموه؟ قال الحسن فسمعت صوتا من الحفرة وهو يقول : قد والله نقل إلينا بأوزار كالجبال وقد أذن لى أن آكله حتى يعود رميما . قال فاضطربت الجنازة فوق النعش . وخر الحسن مغشيا عليه .

ما يقال عند زيارة القبور وعند مرور الجنازة:

قال نافع: كان ابن عمر رأيته مائة مرة أو أكثر يجئ إلى القبر فيقول: السلام على النبى، السلام على أبى بكر، السلام على أبى، وينصرف.

وعن أبى أمامه قال : رأيت أنس بن مالك أتى قبر النبى ﷺ فوقف فرفع يديه حتى ظننت أنه افتتح الصلاة فسلم على النبى ﷺ ثم انصرف .

وقال عائشة (رضى الله عنه) قال رسول الله ﷺ ما من رجل يزور قبر أخيه ويجلس عنده إلا استأنس به ورد عليه حتى يقوم .

وقالت عائشة أيضا قال رسول الله ﷺ : إذا مات صاحبكم فدعوه ولا تقعوا فيه، ثم قالت قال رسول الله ﷺ: لا تسبوا الأموات فإنهم قد افضوا إلى ماقدموا وقال أنس بن مالك : مرت جنازة على رسول الله ﷺ فأثنوا عليها شرا فقال عليه السلام : وجبت ومروا بأخرى فأثنوا عليها خيرا

فقال رسول الله ﷺ وجبت فسأله عمر عن ذلك فقال إن هذا اثنيتم عليه خير فوجبت له الجنة، وهذا اثنيتم عليه شرا فوجبت له النار . أتم شهداء الله فى الأرض .

وروى الإمام أحمد عن أبى هريرة (رضى الله عنه) عن النبى ﷺ يرويه عن ربه عز وجل : ما من عبد مسلم يموت فشهد له ثلاثة أبيات من جيرانه الأدنين بخير إلا قال الله عز وجل قد قبلت شهادة عبادى على ما علموا وغفرت له ما أعلم .

زائروا القبور يكلمون الموتى

روى النسائى عن بريدة أيضا عن النبى ﷺ قال: من أراد أن يزور قبراً فليزره ولا تقولوا هجرا ، بمعنى سوءاً ، وذكر أبو عمر من حديث ابن عباس عن النبى ﷺ قال مامن رجل يمر بقبر أخيه المؤمن كان يعرفه فسلم عليه ، إلا رد عليه سلامه . روى هكذا موقوفا عن أبى هريرة (رضى الله عنه) قال : فإن لم يعرفه وسلم : رد عليه السلام . وروى مسلم عن عائشة رضى الله عنها قالت : قلت يا رسول الله : كيف أقول إذا دخلت المقابر ؟

قال : "قولى السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين ، ويرحم الله المستقدمين منا والمتأخرين، وأنا إن شاء الله بكم لاحقون "خرجه مسلم أيضا من حديث بريدة وزاد : أسأل الله لنا ولكم العافية ، وفى الصحيحين أنه عليه السلام مر بامرأة تبكى عند قبر لها فقال لها : "اتقى الله واصبرى" ... الحديث .

الكلام مع المحتضر

روى مسلم عن أبى سعيد الخدرى (رضى الله عنه) قال : قال رسول الله ﷺ : "لقنوا موتاكم لا إله إلا الله" وذكر ابن أبى الدنيا عن زيد بن أسلم قال : قال عثمان بن عفان . قال رسول الله ﷺ : إذا احتضر الميت فلقنوه لا إله إلا الله فإنه ما من عبد يختم له بها عند موته إلا كانت زاده إلى الجنة ، وقال عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) : احضروا موتاكم ولقنوهم : لا إله إلا الله وذكروهم فإنهم يرون ما لا ترون .

وذكر أبو نعيم من حديث مكحول عن إسماعيل بن عياش بن أبى معالى عتبة ابن حميد عن مكحول عن وائلة بن الأسقع عن النبى ﷺ : احضروا أمواتكم ولقنوهم لا إله إلا الله وبشروهم بالجنة فإن الحكيم من الرجال يتحير عند ذلك المصرع وإن الشيطان أقرب ما يكون من ابن آدم عند ذلك المصرع .... الحديث .

فتلقين الموتى هذه الكلمة سنة مأثورة عمل بها المسلمون ، وذلك ليكون آخر كلامهم لا إله إلا الله فيختم له بالسعادة ، وليدخل فى عموم قوله عليه السلام ، من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة .

أخرجه أبو داود من حديث معاذ بن جبل (رضى الله عنه) ، وصححه محمد عبد الحق ، ولينبه المحتضر على ما يدفع به الشيطان ، فإنه يتعرض للمحتضر ليفسد عقيدته ، فإذا تلقاها المحتضر وقالها مرة واحدة فلا تعاد وعليه لئلا يضجر إلا أن يتكلم بكلام بعدها لأن المدار على القلب ، وتكون النجاة به .

الشياطين تكلم المحتضر

روى أبو الحسن القابسى فى شرح رسالة ابن أبى زيد له عن النبى ﷺ: إن العبد إذا كان عند الموت قعد عنده شيطانان الواحد عن يمينه والآخر عن شماله، فالذى عن يمينه على صفة أبيه، يقول له: يابنى إنى كنت عليك شفيقا ولك محباً، ولكن مت على دين النصرانية فهو خير الأديان، والذى على شماله على صفة أمه تقول له: يابنى أنه كان بطنى لك وعاء وثدى لك سقاء، وفخذى لك وطاء، ولكن مت على دين اليهود وهو خير الأديان .

جبريل عليه السلام
يكلم المحتضر

روى أبو حامد الغزالى فى كتاب كشف علوم الآخرة حديثا طويلا فيه فإذا أراد الله بعبده هداية وتثبيتا جاءته الرحمة ، وقيل هو جبريل عليه السلام فيطرد عنه الشياطين ويمسح الشحوب عن وجهه فيبتسم الميت لا محالة) ، وكثير ما يرى مبتسما فى هذا المقام فرحا بالبشير الذى جاءه من الله تعالى فيقول : يا فلان أما تعرفنى ؟ أنا جبريل وهؤلاء أعداؤك من الشياطين مت على الملة الحنيفية والشريعة الجليلة ، فما شئ أحب إلى الإنسان وأفرح منه بذلك الملك ، وهو قوله تعالى :

﴿ رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ⑧ ﴾ [آل عمران] ثم يقبض عند الطعنة .

ملك الموت يكلم المحتضر

ذكر أبو الفرج ابن الجوزى فى كتاب روضة المشتاق والطريق إلى الملك الخلاق ، قال : ورد فى الخبر : إن بعض الأنبياء عليهم السلام قال لملك الموت عليه السلام: أما لك رسل تقدمه بين يديك ليكون الناس على حذر منك ؟ قال : نعم لى والله رسل كثيرة من الإعلال والأمراض والشيب والهموم وتغير السمع والبصر ، فإذا لم يتذكر من نزل به ذلك ولم يتب ، فإذا قبضته ناديته : ألم أقدم إليك رسولاً بعد رسول ونذيراً بعد نذير ؟ فأنا الرسول الذى ليس بعدى رسول ، وأنا النذير الذى ليس بعدى نذير .

فما من يوم تطلع فيه الشمس ولا تغرب إلا وملك الموت ينادى : يا أبناء الأربعين، هذا وقت أخذ الزاد، أذهانكم حاضرة وأعضاؤكم قوية شداد، يا أبناء الخمسين قد دنا وقت الأخذ والحصاد، ويا أبناء الستين نسيتم العقاب وغفلتم عن رد الجواب فمالكم من نصير أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير.

الجامع لأحوال الموتى عند قبض أرواحهم وفى قبورهم والكلام الذى يقال لهم

أخرج أبو داود الطيالسى وعبد بن حميد فى مسنديهما وعلى بن معبد فى كتاب الطاعة والمعصية. وهناد بن السرى فى زهده وأحمد فى مسنده وهو حديث صحيح عن البراء بن عازب قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ فى جنازة رجل من الأنصار فأنتهينا إلى القبر، ولما يلحد، فجلس رسول الله ﷺ وجلسنا حوله، كأنما على رؤوسنا الطير، فجعل يرفع بصره وينظر إلى السماء ويخفض بصره، وينظر إلى الأرض، ثم قال : "أعوذ بالله من عذاب القبر" قالها مراراً ثم قال : "إن العبد المؤمن إذا كان فى إقبال من الآخرة وانقطاع عن الدنيا، وجاءه ملك الموت فجلس عند رأسه فيقول : أخرجى أيتها النفس الطيبة إلى مغفرة من الله ورضوان فتخرج نفسه فتسيل كما يسيل قطر السقا .

وتنزل ملائكة من الجنة بيض الوجوه ، كأن وجوههم الشمس ، معهم أكفان من أكفان الجنة وحنوط من حنوطها، فيجلسون منه مد البصر فإذا قبضها الملك لم يدعوها فى يده طرفة عين قال : "فذلك قوله تعالى :

﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لا يُفَرِّطُونَ (٦١) ﴾ [الأنعام]

قال: فتخرج نفسه كأطيب ريح وجدت، فتعرج به الملائكة فلا يأتون على جند فيما بين السماء والأرض إلا قالوا: ما هذه الروح ؟ فيقال فلان، بأحسن أسمائه حتى ينتهوا إلى سماء الدنيا فيفتح له، وتشيعه من كل

سماء مقربوها حتى ينتهى إلى السماء السابعة، فيقال: اكتبوا كتابه فى عليين ،

﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ (١٩) كِتَابٌ مَّرْقُومٌ (٢٠) يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ (٢١) ﴾ [المطففين]

فيكتب كتابه فى عليين ، ثم يقال : ردوه إلى الأرض فإنى وعدتهم أنى منها خلقتهم وفيها نعيدهم، ومنها نخرجهم تارة أخرى، قال فيرد إلى الأرض، وتعاد روحه فى جسده، فيأتيه ملكان شديدا الانتهار فينتهرانه ويجلسانه، فيقولان من ربك ؟ وما دينك ؟ ومن نبيك ؟ فيقول ربى الله ودينى الإسلام ،

فيقولان : فما تقول فى هذا الرجل الذى بعث فيكم ؟ فيقول : هو رسول الله .

فيقولان : وما يدريك ؟ فيقول : جاءنا بالبينات من ربنا فآمنت به وصدقت قال : وذلك قوله تعالى :

﴿ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ (٢٧) ﴾ [إبراهيم]

قال: وينادى منادى السماء أن قد صدق عبدى فأفرشوه من الجنة وألبسوه من الجنة وأروه منزله منها ويفسح له مد بصره، ويمثل عمله له فى صورة رجل حسن الوجه طيب الرائحة حسن الثياب فيقول: أبشر بما أعد الله لك أبشر برضوان من الله وجنات فيها نعيم مقيم فيقول: بشرك الله بخير، من أنت فوجهك الوجه الذى جاء بالخير، فيقول: هذا يومك الذى كنت

توعد، أو الأمر الذى كنت توعد أنا عملك الصالح فوالله ما علمتك إلا كنت سريعاً فى طاعة الله بطيئاً عن معصيته الله فجزاك الله خيراً. فيقول يارب أقم الساعة كى أرجع إلى أهلى ومالى.

قال : فإن كان فاجراً وكان فى إقبال من الدنيا وانقطاع من الآخرة جاء ملك، فجلس عند رأسه فقال : أخرجى أيتها النفس الخبيثة أبشرى بسخط من الله وغضبه ، فتنزل الملائكة سود الوجوه معهم مسوح من نار فإذا قبضها الملك قاموا فلم يدعوها فى يده طرفة عين. قال : فتفرق فى جسده فيستخرجها ، تقطع منها العروق والعصيب كالسفود الكثير الشعب فى الصوف المبتل، فتؤخذ من الملك فتخرج كأنتن جيفه وجدت فلا تمر على جند فيما بين السماء والأرض ، إلا قالوا ما هذه الروح الخبيثة ،

فيقولون : هذا فلان بأسوا أسمائه حتى ينتهوا به إلى سماء الدنيا فلا يفتح لهم ، فيقولون : ردوه إلى الأرض إنى وعدتهم أنى معها خلقتهم وفيها نعيدهم ، ومنها نخرجهم تارة أخرى قال: فيرمى به من السماء، قال: وتلا هذه الآية:

﴿ حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ (٣١) ﴾ [الحج]

قال فيعاد إلى الأرض وتعاد فيه روحه ويأتيه ملكان شديدا الانتهار فينتهرانه ويجلسانه فيقولان : من ربك ؟ وما دينك ؟ فيقول : لا أدرى : فيقولان : فما تقول فى هذا الرجل الذى بعث فيكم ؟ فلا يهتدى لاسمه فيقال : محمد . فيقول : لا أدرى سمعت الناس يقولون ذلك قال : فيقال: لا

دريت، فيضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه، ويمثل له عمله فى صورة رجل قبيح الوجه منتن الريح قبيح الثياب،

فيقول: أبشر بعذاب الله وسخطه، فيقول : من أنت فوجهك الذى جاء بالشر ؟ فيقول : أنا عملك الخبيث فوالله ما علمتك إلا كنت بطيئاً عن طاعة الله سريعاً إلى معصية الله .

قال عمرو فى حديثه عن المنهال عن زاذان عن البراء عن النبى ﷺ : فيقيض له أصم أبكم بيده مرزبة لو ضرب بها جبل صار تراباً . أو قال رميما فيضربه به ضربة تسمعها الخلائق إلا الثقلين ، ثم تعاد فيه الروح فيضرب ضربة أخرى لفظ أبى داود الطيالسى وخرجه على بن معبد الجهنى من عدة طرق بمعناه : وزاد فيه :

ثم يقيض له أعمى أصم معه مرزبة من حديد فيضربه بها ضربة فيدق بها من ذؤابته إلى خصره ثم يعود فيضربه ضربة فيدق بها ذؤابته إلى خصره وزاد فى بعض طرقه عند قوله مرزبة من حديد : لو اجتمع عليه الثقلان لم ينقلوها : فيضرب بها ضربة فيصير ترابا ثم تعاد فيه الروح ، ويضرب بها ضربة يسمعها من على الأرض غير الثقلين .

ثم يقال : أفرشوا له لوحين من نار وافتحوا له بابا إلى النار فيفرش له لوحان من نار ويفتح له باب إلى النار وزاد فيه عند قوله وانقطاع من الدنيا : نزلت به ملائكة غلاظ شداد معهم حنوط من نار وسرابيل من قطران يحتوشونه فتنتزع نفسه كما ينتزع السفود الكثير الشعب من الصوف المبتل بقطع معه عروقها ، فإذا خرجت نفسه لعنه كل ملك فى السماء وكل ملك فى الأرض .

وخرج أبو عبد الله بن عمرو بن العاص أنه كان يقول: إذا قتل العبد فى سبيل الله كان أول قطرة تقطر من دمه إلى الأرض كفارة للخطايا ثم يرسل الله عز وجل بربطة من الجنة فيقبض فيها روحه. وصورة من صور الجنة فيركب فيها روحه ثم يعرج مع الملائكة كأنه معهم والملائكة على أرجاء السماء.

يقولون: قد جاء روح من الأرض طيبة ونسمة طيبة، فلا تمر بباب إلا فتح لها، ولا ملك إلا صلى عليها ودعا لها: ويشيعها حتى يؤتى بها الرحمن.

فيقولون: يا ربنا هذا عبدك توفيته فى سبيلك فيسجد قبل الملائكة، ثم تسجد الملائكة بعد ثم يطهر ويغفر له ثم يؤمر فيذهب إلى الشهداء فيجدهم فى ثياب من حرير فى رياض خضر عندهم حوت وثور يظل الحوت يسبح فى أنهار الجنة يأكل من كل رائحة فى أنهار الجنة، فإذا أمسى وكزه الثور بقرنه فيزكيه فيأكلون لحمه فيجدون فى لحمه طعم كل رائحة، ويبيت الثور فى أفناء الجتة فإنذ أصبح غداً عليه الحوت فوكزه بذنبه فيزكيه فيأكلون فيجدون فى لحمه طعم كل رائحة الجنة ثم يعودون وينظرون إلى منازلهم من الجنة، ويدعون الله عز وجل أن تقوم الساعة.

فإذا توفى العبد المؤمن بعث الله عز وجل إليه ملكين وأرسل إليه بخزنة من الجنة، فيقال: اخرجى أيتها النفس المطمئنة إخرجى إلى روح وريحان ورب عنك غير غضبان، فيخرج كأطيب ريح من مسك ما وجدها أحد بأنفه قط، والملائكة على أرجاء السماء يقولون قد جاء من قبل الأرض روح طيبة ونسمة طيبة فلا تمر بباب إلا فتح لها ولا بملك إلا دعا لها وصلى عليها، حتى يؤتى بها الرحمن فتسجد الملائكة ثم يقولون هذا عبدك فلان قد

توفيته وكان يعبدك ولا يشرك بك شيئا، فيقول مروه فليسجد فتسجد النسمة،

ثم يدعى ميكائيل فيقول: اذهب بهذه فاجعلها مع أنفس المؤمنين حتى أسألك عنها يوم القيامة ثم يؤمر فيوسع عليه قبره سبعين ذراعا عرضه وسبعين ذراعاً طوله، وينفر له الرحين ويستر بالحرير، فإن كان معه شئ من القرآن كفاه نوره وإن لم يكن معه جعل له فى قبره نور مثل الشمس، ويكون مثله مثل العروس ينام فلا يوقظه إلا أحب أهله إليه، قال : فيقوم من نومه كأنه لم يشبع من نومته .

وإذا توفى العبد الفاجر أرسل الله إليه ملكين وأرسل بقطعة من نجاد أنتن من كل نتن وأخشن من كل خشن، فقالا. إخرجى أيتها النفس الخبيثة، إخرجى إلى حميم وعذاب، ورب عليك غضبان إخرجى وساء ما قدمت لنفسك، فتخرج كأنتن رائحة وجدها أحد بأنفه قط وعلى أرجاء السماء ملائكة يقولون: قد جاءت من الأرض روح خبيثة، ونسمة خبيثة فتغلق دونها أبواب السماء، ولا تصعد إلى السماء ثم يؤمر فيضيق عليه قبره ويرسل عليه حيات أمثال أعناق البخت فتأكل لحمه حتى لا تذر على عظمه لحما، ويرسل عليه ملائكة صم عمى يضربونه بفطاطيس من حديد لا يسمعون صوته فيرحموه، ولا يبصرونه فيرحموه ولا يخطئون حين يضربونه، ويعرض عليه مقعده من النار بكرة وعشياً يدعو بأن يدوم ذلك ولا يخلص إلى النار .

الفهرس

تابع الفهرس